وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الدكتور يحيى فارس بالمدية

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

النّشاط الاقتصادي في الدّولة الرّستمية من خلال المصادر الإباضية "سير الوسياني أنموذجًا(ق6 هـ- 12م)".

مذكّرة مقدّمة للحصول على شهادة الماستر في تاريخ الغرب الإسلاميّ.

إعداد:

1. حدّة بركان.
2. فوزية مكلوش.

إشراف:

د/عبد العزيز حاج كولة.

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللّقب	الرتبة العلمية	الصّفة
بو بكر العربي.	دكتور	مناقشًا
توفيق عبد الصّمد مزاري	بروفيسور	رئيسًا
عبد العزيز حاج كولة.	دكتور	مشرفًا ومقرّرًا

السّنة الجامعية: 1443-1444هـ / 2022-2023 م.

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الدكتور يحيى فارس بالمدية

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

النّشاط الاقتصادي في الدّولة الرّستمية من خلال المصادر الإباضية "سير الوسياني أنموذجًا(ق6 هـ- 12م)".

مذكّرة مقدّمة للحصول على شهادة الماستر في تاريخ الغرب الإسلاميّ.

إعداد:

1. حدّة بركان.
2. فوزية مكلوش.

إشراف:

د/عبد العزيز حاج كولة.

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللّقب	الرتبة العلمية	الصّفة
بو بكر العربي.	دكتور	مناقشًا
توفيق عبد الصّمد مزاري	بروفيسور	رئيسًا
عبد العزيز حاج كولة.	دكتور	مشرفًا ومقرّرًا

السّنة الجامعية: 1443-1444هـ / 2022-2023 م.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تشكر

نحمد الله ولينا صاحب الشأن العظيم والمجد والعلم السليم "سبحانه وتعالى" عليه

توكلنا وبه نستعين ذو السخاء والعطاء الكريم.

ونصلي ونسلم على سيد الأنام نبينا ورسولنا أشرف الأنبياء والمرسلين.

نتقدم بالشكر الجزيل والعرفان إلى نبراس العلم والمعرفة الأستاذ المشرف

على قبوله الإشراف على هذا البحث وإحاطته له

بالاهتمام والتوجيه الذي لم يبخل بهما علينا وجميل صبره.

نزفوا كل معاني التقدير والامتنان إلى أعضاء لجنة المناقشة الذين تكرموا

بقراءة البحث لإثرائه بملاحظاتهم وتقويمه بتوجيهاتهم.

نشكر كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد ولو بكلمة طيبة زادتنا قدرة وقوة.

فجزاهم الله عنا كل خير

إهـداء .

إلى من كلّت أنامله ليقدم لي لحظة السعادة وحصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم.

إلى الذي عاش معي فصول هذا العمل ومباحثه ولم يره... إلى الذي لا أنا ذهبت إليه ولا هو استطاع الحضور.

رحل ورحلت أجزاء مني معه.

إلى الذي رحلت معه كل معاني الحياة فلا فرق بين الفرح و الحزن ...تشابهت الأيام.

إلى والدي الحبيب "رحمه الله

إلى عبق الورود وأعظم ما في الوجود أمي الغالية حفظها الله وأطال في عمرها.

إلى ينبوع الصبر والتفاؤل والأمل أمي الثانية فاطمة.

إلى نصف ديني زوجي العزيز فارس وعائلته الكريمة.

إلى من أرى السعادة بوجوههم إلى قوتي وملاذي بعد الله " إخوتي وأخواتي

إلى جميع أفراد عائلتي...

إلى قدوتي ومعلمي أستاذي الذي أكن له كل معاني الاحترام والتقدير لتواضعه وصبره، وكل أساتذتي...

إلى من شاركتني في هذا البحث

أهدي هذا العمل .

حـدّة.

إهـداء.

الحمد لله الّذي رزقني العقل وحسن التّوكّل عليه سبحانه وتعالى، وعلى نعمه الّتي رزقني، وصلت رحلتي التّعليميّة إلى نهايتها بعد تعب ومشقّة، وها أنا أختم بحث تخرّجي بكلّ همّة ونشاط.

إلى صاحب السّيرة العطرة، والفكر المستنير، الّذي له الفضل الأوّل في بلوغي التّعليم العاليّ، والدي الحبيب أطال الله سبحانه وتعالى في عمره.

إلى من وضعتني على طريق الحياة، أمّي الغالية، جعل الله عزّ وجلّ الجنّة تحت أقدامها، وأطال في عمرها.

إلى زميلتي الطّيّبة الّتي شاركتني هذا العمل حدّة بركان.

أقدّم لكم هذا البحث، وأتمنّى أن يكون مفيدا لطلّاب العلم، داعية المولى عزّ وجلّ أن يطيل في أعماركم ويرزقكم بالخيرات.

فـوزيـة

مقـدّمــة

تعتبر بلاد المغرب الإسلاميّ رقعة جغرافيّة مترامية الأطراف، والّتي شهدت نشاط العديد من الحركات التّجاريّة وتأسيس الكيانات السّياسيّة نتيجة الفتن والثّورات في عصر الولّاة، وقد عرفت بلاد المغرب عدّة دويلات مستقلّة أهمّها الدّولة الرّستميّة الإباضيّة بالمغرب الأوسط، أسّسها عبد الرّحمان بن رستم عام 161هـ/ 777م، واتّخذ من تيهرت حاضرة لها، والّتي تمتّعت بنشاط اقتصاديّ واسع ومتنوّع مثّل موردا هامّا لها، وذلك لأهمّيّته الكبيرة في التطور الحضاري للبلاد.

شهدت المصادر الإباضية بهذا النشاط، وأثنت على الجهود التي بذلها الرستميون في سبيل تطوير الاقتصاد في الدّولة فأصبحت قطبا اقتصاديّا كبيرا في بلاد المغرب، ومن بين هذه المصادر، كتاب "السّير" للوسيانيّ باعتباره واحدا من أهمّها، الذي اتخذناه انموذجا لمذكرتنا، فجاءت بعنوان: " النشاط الاقتصادي في الدولة الرستمية من خلال المصادر الإباضية "سير الوسياني أنموذجا (ق6هـ- 12م) "

دواعي اختيار الموضوع: دفعنا لدراسة هذا الموضوع جملة من العوامل الذاتية والموضوعية:

الأسباب الذاتيّة: تتمثل هذه الأسباب في:

- الرّغبة في التعرف على جزء مهم من تاريخ الجزائر في العصر الوسيط.
- يندرج الموضوع ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط.
- الميل إلى الدراسات التي تعنى بالجانب الإقتصادي.

الأسباب موضوعيّة:

– كثرة اهتمام الدّراسات الحديثة بهذا الموضوع ، بحيث أخذنا الفضول في التّطرّق إلى هذا الموضوع والبحث فيه.

أهمّيّة الموضوع: تكمن أهمّيّة الموضوع في التّعريف بحاضرة تيهرت وإسهاماتها في النشاط الاقتصاديّ خاصة وأنّها عرفت رقي حضاري في مختلف المجالات وركزت على الجانب الاقتصادي.

إشكالية البحث: تحاول المذكرة الإجابة على الإشكالية: ما مدى إسهام كتاب السير للوسياني في التعريف بالنشاط الإقتصادي للإباضية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن 6هـ-12م؟

ويندرج ضمن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات أهمها:

– هل كان للإباضية دور في النشاط الفلاحي خلال الفترة الوسيطة؟

– ماذا كانت تمثّل التّجارة الخارجيّة في بلاد المغرب من خلال كتاب الوسيانيّ؟

– ما أنواع الصّناعة الّتي كانت تمارسها الجماعات الإباضية؟

الدّراسات السّابقة: شهدت ساحة البحث التاريخي اهتماما بالدولة الرستمية، فظهرت العديد من الدراسات التي تعنى بالجانب الإقتصادي لها، نذكر منها:إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية 160-296هـ/776-909م دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية والذي تناول الأنشطة الاقتصادية للإباضية، كذلك نجد عبد الكريم جودت، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية حيث يعتبر من بين أهم المراجع في دراسة الحياة الاقتصادية للدولة الرستمية. أما عن الدراسات التي تناولت جزء من بحثنا هذا نذكر: سميرة شيخاويّ، ليندة كحّال، فمن خلال مذكّرتهما الّتي كانت تحت عنوان نظم الدّولة الرّستميّة "دراسة لنظم الحكم والإدارة والنّظام الماليّ والقضائيّ (160- 296هـ/ 777- 908م)"، إضافة إلى زهيّة

لخضاريّ، عائشة لوناس، العلاقات الاقتصاديّة بين الدّولة الرّستميّة وشعوب جنوب الصّحراء (161- 296هـ/ 779- 909م)، فتناولت هذه المذكّرة أهمّ الطّرق التّجاريّة وأهمّ السّلع المتبادلة بين الدّولة الرّستميّة والسّودان الغربيّ، كذلك مذكّرة فطيمة مطهريّ بعنوان موارد بيت المال الرّستميّ ونظام المبادلات والمعاملات داخل تيهرت وخارجها (2- 3هـ)، حيث تناولت نظم التّجارة الدّاخليّة ودورها في التّبادل التّجاريّ. ومن الدّراسات الّتي تخصّصت في الموضوع أيضا نجد مذكّرة نورالدّين ديوان، عبد الحقّ عطى الله بعنوان النّشاط الاقتصاديّ لدولة ومجتمع الرّستميّين، حيث تناولت المجالات الاقتصاديّة في بلاد المغرب الإسلاميّ من زراعة وصناعة وتجارة. كما تناولت بعض المقالات هذا العمل، ومنها مقال مكّيّ زيّان "النّشاط الفلاحيّ بمنطقة تيهرت (160- 296هـ/ 777- 909م)".

المنهج المتّبع: اعتمدنا في دراستنا لهذا الموضوع على المنهج التّاريخيّ كونه يعدّ المنهج الأصليّ في مثل هذه الدّراسة، الذي يقوم على جمع ومعالجة الحوادث التاريخية عن طريق الوصف، التحليل والتفسير

خطّة البحث: اشتملت هذه المذكرة المعنونة بالنشاط الاقتصادي في الدولة الرستمية من خلال المصادر الإباضية" سير الوسياني أنموذجا"(ق6هـ- 12م) من مقدمة ومبحث تمهيدي وثلاثة مباحث وخاتمة للموضوع وقائمة الملاحق و قائمة المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات، أما المقدمة فاشتملت على التعريف بالموضوع وأهميته ودوافع اختياره بالإضافة إلى الإشكالية والمنهج المتبع مع ذكر الدراسات السابقة وأهم المصادر والمراجع، كما تمثل المبحث التمهيدي في التحدث عن الإباضية في بلاد المغرب منذ الظهور مرورا بالعهد الرستمي إلى غاية القرن السادس هجري.

أما المبحث الأول فقد جاء بعنوان التعريف بالوسياني وكتابه السير، تناولنا التعريف بالكاتب من خلال ذكر نسبه، نشأته، تعليمه، ثقافته، وعصره وكذا التعريف بالكتاب الذي تحدتنا فيه عن محتواه، مصادره، منهجه وأسلوبه.

أما المبحث الثاني الذي كان تحت النشاط الفلاحي من خلال كتاب سير الوسياني، فتطرقنا فيه إليه إلى الملكية الزراعية والنشاط الزراعي من محاصيل وغيرها وتطرقنا أيضا إلى النشاط الرعوي.

وفي المبحث الثالث والأخير المعنون بالنشاط الحرفي والتجاري من خلال كتاب السير للوسياني فتناولنا أنواع الصناعات والحرف بالإضافة إلى النشاط التجاري حيث تعرفنا على أهم الطرق والمسالك التجارية وكذا الأسواق والتجارة الخارجية وتطرقنا إلى الجانب المالي .

وفي الأخير أنهينا البحث بخاتمة تناولنا فيها النتائج التي توصلنا لها بعد الدراسة إضافة إلى بعض الملاحق وقائمة المصادر والمراجع وعرض فهرس الموضوعات.

عرض أهمّ المصادر والمراجع: استعنّا لإنجاز هذه المذكرة بجملة من المصادر والمراجع الّتي أفادت الموضوع منها:

-كتب الجغرافية والبلدان:

- كتاب معجم البلدان لمؤلّفه شهاب الدّين أبي عبد الله الحمويّ ت (626هـ/ 1229م)، الّذي يعتبر من أهمّ المصادر الجغرافيّة، والّذي أفادنا في وصف البلدان.

- كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقيّة والمغرب لمؤلّفه عبد الله البكريّ ت (487هـ/ 1094م) الّذي أفادنا في وصف زراعة تيهرت وأماكن وجود المياه، بالإضافة إلى مكاييل وأوزان تيهرت، وطرق المعاملات.

- كتاب البلدان لمؤلّفه اليعقوبيّ أحمد بن يعقوب بن جعفر واضح ت (278هـ/ 891م)، والّذي زوّدنا بأهمّيّة الطّرق والمسالك التّجاريّة بين الدّولة الرّستميّة وبلدان أخرى.

- كتاب صورة الأرض لمؤلّفه ابن حوقل أبو القاسم النّصيبيّ ت (367هـ/ 977م)، الّذي يعتبر من أهمّ المصادر الجغرافيّة المهمّة، والّذي أفادنا في الأنشطة الاقتصاديّة (النّشاط الزّراعيّ والنّشاط الرّعويّ).

– كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق لمؤلّفه أبي محمّد عبد الله بن محمّد بن عبد الله الإدريسيّ ت (560هـ/ 1165م)، حيث أفادنا بمعلومات قيّمة وتفاصيل دقيقة عن المسافات بين الأقاليم بصورة واضحة تساعد على تحديد موقعها، وتناول المحاصيل الزّراعيّة ومصادر المياه لبلاد المغرب الّتي اعتبرت مصادر رخاء للدّولة الرّستميّة.

كتب التّاريخ:

– كتاب أخبار الأئمّة الرّستميّين لمؤلّفه ابن الصّغير المالكيّ الّذي عاش في القرن الثّالث هجريّ، حيث عاصر الدّولة الرّستميّة خلال فترة حكم أبي اليقظان بن أفلح (241هـ/ 855م)، والّذي يعتبر من أهمّ المصادر، بحيث استفدنا منه كثيرا في معرفة الأنشطة الاقتصاديّة بالدّولة الرّستميّة خاصّة النّشاط التّجاريّ.

كتب السّير والتّراجم:

– كتاب طبقات المشايخ لمؤلّفه الدّرجينيّ ت (670هـ/ 1272م)، فعلى الرّغم من أنّه كتاب من الطّبقات إلّا أنّ ذلك لم يمنع من تزويدنا بمعلومات قيّمة عن الحياة الاقتصاديّة، والّذي استفدنا منه كثيرا في ترجمة بعض الشّخصيّات.

– كتاب السّير لمؤلّفه الشّمّاخيّ ت (928هـ/ 1521م)، والّذي أفادنا في ترجمة الأئمّة والشّخصيّات.

كما اعتمدنا على مجموعة من **المراجع** نذكر منها:

– كتاب الدّولة الرّستميّة (160– 296هـ/ 776– 909م) دراسة للأوضاع الاقتصاديّة والحياة الفكريّة لإبراهيم بحّاز، فقد استفدنا منه في الجانب الاقتصاديّ للدّولة الرّستميّة، حيث زوّدنا بمعلومات قيّمة في مجال الزّراعة والصّناعة وكذا التّجارة مع بلاد السّودان.

– كتاب الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة في المغرب الأوسط خلال القرنين الثّالث والرّابع الهجريّين (9– 10م) لجودت عبد الكريم يوسف، والّذي استفدنا منه رصد بعض المظاهر الاقتصاديّة.

– كتاب الدّولة الرّستميّة بالمغرب الإسلاميّ "حضارتها وعلاقتها الخارجيّة بالمغرب والأندلس (160– 296هـ)" لمحمّد عيسى الحريريّ، وقد أفادنا كثيرا في معرفة الطّرق التّجاريّة بين الدّولة الرّستميّة والسّودان الغربيّ.

صعوبات الدّراسة: لا يخلو أيّ بحث علميّ من الصّعوبات مهما كان بسيطا، ولعلّ أبرز الصّعوبات الّتي واجهتنا قلّة الدّراسات الخاصّة بكتاب الوسيانيّ، وفي المقابل كثرة المعلومات الّتي تناولت الجانب الاقتصاديّ وتشعّبها، قلّة المصادر والمراجع المتخصّصة في الموضوع، إذ لم يزوّدنا كتاب الوسيانيّ بمادّة ثريّة في هذا الموضوع، بل إشارات صغيرة.

المبحث التمهيدي:

1. ظهور الإباضية في بلاد المغرب.
2. الثورات الإباضية.
3. تأسيس الدولة الرستمية.
4. أئمة الدولة الرستمية ونظام الحكم.
5. سقوط الدولة الرستمية.

1. ظهور الإباضية في بلاد المغرب:

أخذ المذهب الإباضي اسمه عن عبد الله بن إباض المري التميمي، وقد سمي المذهب على اسم أبيه لأنّه كان أكثر من ابنه شهرة[1]، وقد أشار إليه الوسياني فقال:" فالمذهب الإباضي كان من أسبق المذاهب نشوءًا ومن أقربها إلى السنة"[2]، فلقد انبثقت عن الإباضية عدّة فرق منها ما يعترف به بعض مؤرخيهم، ومنهم من نفى انتسابها للإباضية وأنكرها، فنجد كل من الشهرستاني والأشعري يجعلانها ثلاث فرق هي: الحفصية وهم أصحاب حفص بن أبي المقدام الحارثية وهم أصحاب الحارث الإباضي، واليزيدية وهم أصحاب يزيد بن أنيسة. وزاد كل من الأشعري والبغدادي فرقة رابعة وهم أصحاب طاعة لا يراد الله بها.[3]

ولعل من أبرز العقائد عند الإباضية نذكر: في الإيمان والكفر، في الخلود في النار، في الشفاعة، في الإيمان بالقضاء والقدر[4].

فقد اعتمد الإباضية ومن وافقهم من غيرهم من العلماء في فهمهم للخلود في النار للموحد الّذي عصى الله ولم يتب ومات على كل ذلك، واعتمدوا على آيات من القرآن الكريم.[5]

كما يعتقد الإباضية في الشفاعة أنّها حق، ومن كذّب بها فقد كذّب بالقرآن، وهي المقام المحمود، والشفاعة إنّما هي للمسلمين من الّذين ماتوا على الطّاعة، وما لأهل الكبائر من

---

[1]– عمرو خليفة النّاميّ، **دراسات عن الإباضيّة**، تر: ميخائيل خوري، مرا: ماهر جرّار، د.ط، دار الغرب الإسلاميّ، ص47.

[2]–الوسيانيّ، **السّير**، تح: عمر بن لقمان حمّو سليمان بوعصبانة، ط.1، وزارة التّراث والثّقافة، سلطنة عمان، (1430هـ/2009م)، ج1، ص52.

[3]– أمينة محمّد، غربي محمّد، **إباضيّة المغرب وخلافهم في الولاية والبراءة والإمامة "قراءة تاريخيّة من المصادر الإباضيّة، (ق2– 3هـ/8–9م)**"، "المجلّة الجزائريّة للمخطوطات"، مج: 18، العدد: 2، الجزائر، جوان 2022، ص512

[4]– بشيرة قابوسة، مسعود صوالح محمّد، **الإباضيّة والمالكيّة في بلاد المغرب الإسلاميّ– جدليّة الحوار والصّراع– من منتصف القرن 2هـ/8م إلى القرن 6هـ/12م**، مذكّرة مكمّلة تدخل ضمن متطلّبات نيل شهادة الماستر في التّاريخ تخصّص الغرب الإسلاميّ جامعة الوادي، (2019/2018م)، ص.ص12–13.

[5]– الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، ص54.

شفاعة، كذلك يعتقد الإباضية بعدم رؤية الباري عزّ وجلّ لا في الدّنيا ولا في الآخرة، كما يذهب إلى ذلك من غيرهم بعض المذاهب كالمعتزلة، ومن العلماء القدامى كابن جرير الطّبريّ في تفسيره.[1]

ترجع بدايات ظهور المذهب الإباضيّ في بلاد المغرب إلى أواخر القرن الأوّل وبداية القرن الثّاني للهجرة، حيث انتقلوا من بلاد المشرق إلى المغرب فرارا من بطش الأمويّين الّذين كان جلّ اهتمامهم منصبّا في القضاء على المذاهب الخارجيّة[2]، فبسبب تلك الصّراعات فرّ زعماؤها بأفكارهم في أوساط البربر، أو بسبب وفود العلماء والفقهاء القادمين من المشرق في عصر الولّاة.[3]

فقد كانت البدايات الأولى لنشر الدّعوة الإباضيّة والصّفريّة أنّ كلا الدّاعين قدما في رحلة واحدة، وكان صاحب المذهب الإباضيّ سلمة [4]بن أبي سعيد بن أسد الحضرميّ[5] الّذي طاف في بلاد المغرب، وقد بيّن للنّاس ما يرونه في سلوك أفراد الحاكمين، واختار فئة من الشّباب ودعاهم إلى السّفر إلى بلاد المشرق من أجل طلب العلم، ومكثوا مدّة خمس سنوات يتّعلّمون أصول المذهب الإباضيّ في المدرسة السّرّيّة، ثمّ عادوا إلى بلاد المغرب لنشر مذهبهم في

---

[1]– محمّد، محمّد، المرجع السّابق، ص12.

[2]– الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، ص60.

[3]– غنابزيّة عبد المنعم، محده الحبيب، **الفرق الخارجيّة ببلاد المغرب "دراسة مقارنة بين الإباضيّة والصّفريّة**، مذكّرة مكملة لمتطلّبات الحصول على شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربيّ الوسيط والحديث، جامعة الواديّ، (1437-1438هـ/2016-2017م)، ص24.

[4]– سلمة بن أبي سعيد بن أسد الحضرميّ:(135هـ/752م)، عامل وداعية، وهو من طبقة تابعيّ التّابعين، أخذ العلم عن إمام المذهب جابر بن زيد، وعن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وعن ضمّام بن السّائب... وغيرهم. وهو أوّل من جاء من البصرة بمذهب الإباضيّة ليدعو إليه في بلاد المغرب الإسلاميّ. أنظر: محمّد بن موسى بابا عليّ وآخرون، معجم أعلام الإباضيّة من القرن الأوّل الهجريّ إلى العصر الحاضر، د ط، دار الغرب الإسلاميّ، د ت، ج2، ص189.

[5]– محمّد، محمّد، المرجع السّابق، ص15.

سنة 140هـ/ 757م،[1] هذا وقد دعاهم الإمام إلى الرّجوع له عند حدوث أيّ مشكل يصعب عليهم، وقد نشط هؤلاء الدّعاة في نشر مذهبهم بين أهليهم، وقاموا بتأسيس المدارس السّرّيّة على غرار مدرسة البصرة، وتخرّج على أيديهم عدد من دعاة الإباضيّة المغاربيّة فأصبحوا يسمّون بتلاميذ حملة العلم، وأخلص الأساتذة وتلاميذهم في نشر المذهب بين جموع المغاربة.[2]

2.الثورات الإباضية:

لقد جرت ثورات إباضيّة في أواخر الخلافة الأمويّة نذكر منها[3]: ثورة عبد الله بن مسعود التّجيبيّ والتي كانت سنة 126هـ/744م، حيث ترأّس بربرة هوّارة في منطقة طرابلس متحدّيا حكم الرّحمان بن حبيب الّذي قام بالقضاء على تلك الحركة بعنف شديد، ثمّ قبض على عبد الله بن مسعود التّجيبيّ وقتله. وقد أثار مقتل إمام الإباضيّة الجديد غضبهم فقاموا بثورة تزعّمها كلّ من الحارث بن تليد الحضرميّ وقاضيه ووزيره عبد الجبّار المراديّ، والّتي انتهت بمقتلهم أيضا سنة 131هـ/749م، بحيث اختلف المؤرخون حول مقتلهم.

ثم عيّن بعدهم إسماعيل بن زياد النّفوسيّ الّذي عظم شأنه وكبر بيعه، فقام بالاستيلاء على قابس سنة 132هـ/751م، لكن منعه عبد الرّحمان فرصة الظّهور بالتّوجّه نحوه بجيشه والتقى الطّرفان وانتهت المعركة بمقتل إسماعيل النّفوسيّ وهزيمة أنصاره وأتباعه من الإباضيّين، ثمّ انتقل ابن حبيب إلى طرابلس ففتك بالإباضيّة وتسلّط عليهم، فعمل على إعادة بناء سور المدينة تحصينا من الخطر الإباضيّ.[4]

---

[1]– غنابزيّة عبد المنعم، محده الحبيب، **الفرق الخارجيّة ببلاد المغرب "دراسة مقارنة بين الإباضيّة والصّفريّة**، مذكّرة مكملة لمتطلّبات الحصول على شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربيّ الوسيط والحديث، جامعة الواديّ، (1437–1438هـ/2016–2017م)، ص24.

[2]– محمّد، محمّد، المرجع السّابق، ص26.

[3]– عليّ محمّد، محمّد الصّلّابيّ، **صفحات مشرقة من التّاريخ الإسلاميّ**، د ط، دار الإيمان للطّبع والنّشر والتّوزيع، إسكندريّة، د ت، ص597.

[4]– عبد المنعم، الحبيب، المرجع السّابق، ص ص29–30.

ويبدو أنّ الخوارج الإباضيّة لم يكونوا قد تهيّئوا بعد لمرحلة الظّهور حتّى بداية القرن الثّانيّ للهجرة، وقيام ثورة أبي الخطّاب عبد الأعلى سنة 140هـ/757م[1]، والّذي انضوت تحت لوائه كلّ من قبائل نفوسة وهوّارة وغيرها، وقد قام أبو الخطّاب بعدّة ثورات وهي ثورته على قبيلة ورفجومة الصّفريّة، وثورته على ابن الأشعث، فرغم الانتصارات الّتي حقّقها إلّا أنّه اقتتل من طرف محمّد بن الأشعث الّذي قام بتصفية الوجود الإباضيّ من بلاد المغرب والقضاء على إمامة الظّهور.

ثمّ تأتي ثورة أبي حاتم الملزوزيّ سنة 145هـ/762م، والّذي اقتتل من طرف أبي يزيد الّذي قتل بدوره جمهورا كبيرا من الإباضيّة بلغ عددهم الثّلاثين ألفا، كما قام الخوارج بثورة أخرى سنة 156هـ/773م بقيادة أبي يحيا الهوّاريّ، فتصدّى لهم عبد الله بن الصّمط وتمكّن من هزيمتهم، فكانت هذه الواقعة آخر نشاط ثوريّ للإباضيّة في بلاد المغرب.[2]

3.تأسيس الدولة الرستمية:

أصبحت الدّولة الرّستميّة تمثّل أبرز حركة استقلاليّة مبكّرة بالمغرب الأوسط، والّتي أسّسها عبد الرّحمان بن رستم سنة 160هـ/777م[3]، الّذي شاع يومئذ ذكره في الآفاق فوفدت عليه وجوه الإباضيّة من العلماء والأعيان،[4] وكانت عاصمتها تيهرت، كما تعدّ أوّل دولة حقّقت

---

[1]– حسام الدّين قطّيش، عادل جعطوط، **ثورات الخوارج في بلاد المغرب الإسلاميّ**، (96– 296هـ/ 715–909م)، مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب الإسلاميّ الوسيط الموسومة ب: جامعة البويرة، (1435–1436هـ/ 2014–2015م)، ص42.

[2]– عبد المنعم، الحبيب، المرجع السّابق، من ص31 إلى ص35.

[3]– محمّد بوركبة، **الجزائر الاجتماعيّة في عهد الدّولة الرّستميّة (160–296هـ/ 777–909م)**، د ط، دار الكفاية، الجزائر، ص81.

[4]– عبد الرّحمان بن محمّد الجيلاليّ، **تاريخ الجزائر العامّ**، ط1، منشورات دار مكتبة الحياة، الجزائر، (1384–1965م)، ص219.

استقلالها في العهد الرّستميّ بالمغرب الأوسط[1]، وسجّلت قيام حكم إباضيّ منفصل نهائيّا في المجال السّياسيّ والإداريّ عن الحكم المركزيّ الإسلاميّ.[2]واتّسعت هذه المدينة ما بين فترة تأسيسها حتّى إعلان قيام الدّولة، وازداد عمرانها بتوافد الإباضيّة عليها، فقد اتّجه عبد الرّحمان بن رستم منذ أن غادر جبل فحج جنوب تيهرت إلى موضع تيهرت، واتّخذها مقرّا له.[3]

ولقد نجحت هذه الدّولة في تأسيس مركزها هذا فوفّقت فيه غاية التّوفيق، فقرب تيهرت من الصّحراء يمنعها من الوقوع في يد العدوّ في أيّام الحرب، كما أنّ موقعها هذا بين جبال الأطلس إلى بلاد التّلّ الخصيبة جعلها تهيمن على بلاد المغرب من جهاتها الأربع، فلا هي متطرّفة جنوبا ولا شمالا، ثمّ إنّها كانت حسب موقعها الجغرافيّ أيضا متوسّطة بين ولاية تونس والمغرب الأقصى.[4]

4.أئمة الدولة الرستمية ونظام الحكم:

تعاقب عدد من الأئمّة الرّستميّين على تيهرت[5] إلى حين سقوطها، فتميّز عهد عبد الرّحمان بن رستم بالاستقرار السّياسيّ والاجتماعيّ، وهذا باعتماده على رجال أكفّاء، والّذي حكم بين

---

[1]– أنظر: الملحق رقم1، ص90.

[2] –محمّد بوركبة، المرجع السّابق، ص82.

[3]– أحمد إلياس حسين، **الإباضيّة في المغرب العربيّ**، ط1، مكتبة الظّاهريّ للنّشر والتّوزيع، سلطنة عمان، (1416هـ/1996م)، ص31.

[4]– بن محمّد الجيلاليّ، المرجع السّابق، ص225.

[5]– أنظر: الملحق رقم2، ص91.

(160-787هـ/172-777م)، حيث بويع بالإمامة من طرف إخوانه في المذهب وأصبح أول إمام للدّولة الرّستميّة بالمغرب الأوسط.[1]

وبعد وفاة عبد الرّحمان بن رستم، خلفه أفلح بن عبد الوّهّاب الّذي مارس الحكم أثناء غياب أبيه سنة 171هـ/787م، ثمّ يليه أبو بكر بن أفلح سنة (240-241هـ/854-855م)، ثمّ يأتي بعده أبو اليقظان سنة (241-281هـ/858-894م)، ثم يأتي أبو الحاتم بن محمّد أبي اليقظان سنة (281-294هـ/894-907م)، وفي الأخير يأتي اليقظان بن أبي اليقظان سنة (294-296هـ/907-909م).[2]

وقد أنكر الإباضيّون على الأمويّين ثمّ العباسيّين استئثارهم بالخلافة وحصرها في بيتهم فرفعوا شعار إصلاح نظام الحكم، وأخذوا يطالبون بالخلافة الإسلاميّة، كما دفعهم إلى ذلك ظلم وجود بني أميّة وبني العبّاس، وأن يحدّدوا واجب الخليفة بأن يتقيّد بالكتاب والسّنّة وآثار الصّالحين، وأنّ عليه أن يقيم حدود الله ويؤمّن السّبل ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ،وأن ينشر العدل والمساواة، وأن يخضع لمبدأ الشورى، وإذا خالف هذه المبادئ وجب قتله أو عزله.[3] وفي هذا المقام يذكر الوسياني:" إنّ النّظرة السّياسيّة عند الإباضيّة كانت لا تعدو أربعة مسالك"[4]: وهي إمامة الكتمان الّتي تكون في وقت الجور وعدم استطاعة إظهار الحقّ قولا وفعلا.

---

[1]- سميرة شيخاويّ، وليندة كحّال، **نظم الدّولة الرّستميّة "دراسة الدّولة الرّستميّة"- "دراسة لنظام الحكم والإدارة والنّظام الماليّ والقضائيّ"**، (160-296هـ/ 776-908م)، مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في التّاريخ الوسيط الإسلاميّ، جامعة البويرة، ص25.

[2]- قطّيش، جعطوط، المرجع السّابق، ص72.

[3]- عبد الكريم يوسف جودت، **العلاقات الخارجيّة للدّولة الرّستميّة**، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1984م، ص50.

[4]- الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، ص102.

ثمّ يليها مسلك إمامة الشّورى، وهي عبارة عن تنظيم عسكريّ يقوم على الفدائيّة والتّضحية بالأنفس في سبيل حماية فكر الجماعة وعقيدتهم ودينهم.[1] ويأتي بعده مسلك الظّهو، ففي مثل هذا المسلك كانت الإمامة تقيم الحدود في تيهرت الرّستميّة، وتشيّع العدل في ربوعها، فآب الناس إليها من البصرة والكوفة والأندلس والقيروان وغيرها[2]،وأصدق دليل على ذلك ما قاله ابن الصّغير:" ليس أحد ينزل بهم من الغرباء إلّا استوطن معهم وابتنى بين أظهرهم لما يرى من رخاء البلد وحسن سيرة إمامه وعدله، وأمانه على نفسه وماله، حتّى لا ترى دارا إلّا قيل هذه لفلان الكوفيّ، وهذه لفلان البصريّ، وهذه لفلان القرويّ، وهذا مسجد القرويّين ورحبتهم، وهذا مسجد البصريّين، وهذا مسجد الكوفيّين".[3]

أمّا عن مسلك الدّفاع، فهو يعقد لواء الدّفاع عن أهل الحلّ والعقد لشيخ يرونه أهلا لذلك حينما يداهمهم عدوّ أراد بهم سوءا، فإن شاءوا عقدوا له بيعة الظّهور بعد انتصاراته، وإن شاءوا عيّنوا غيره.[4]

5. سقوط الدولة الرستمية:

إنّ أكبر عامل في سقوط هذه الدّولة هو اختلاف الكلمة بين الحكومة والشّعب، وما نتج عن ذلك يومئذ من الفتن والاضطرابات الّتي أضعفت الدّولة أمام رعيّتها، فضعفت بفقد جندها الحامي.[5]

---

[1] –أحمد بن سعود السّيّابيّ، **مدخل إلى الإباضيّ**، ط1، مكتبة الظّاهريّ للنّشر والتّوزيع، سلطنة عمان، (1440هـ/ 2019م)، ص205.

[2] –الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، ص102.

[3] –ابن الصّغير، **أخبار الأئمّة الرّستميّين**، تح وتع: محمّد ناصر، وإبراهيم بحّاز، د د ن، د ت، 1985م، ص32.

[4] –الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، ص105.

[5] –الجيلاليّ، المرجع السّابق، ص233.

المبحث الأوّل: التّعريف بالوسياني وكتـــابـه السّير.

1. ترجمة الوسياني.
2. كتاب السير للوسياني.

1. ترجمة الوسيانيّ:

أ. نسبه ونشأته:

هو الرّبيع بن عبد السّلام بن حسّان بن عبد الله[1]، من أبرز أعلام الإباضيّة، ترك آثارا عميقة في الفكر الإباضيّ بتدوين سير أعلام المذهب وإنقاذها من الاندثار[2]، ولد وعاش في قسطيليّة[3]، وانتقل بعد ذلك إلى مدينة آجلو بواديّ أريغ بالقرب من بلدة أعمر قرب تقرت[4].وهو من قبيلة وسيان الزّنّاتيّة بإقليم قسطيليّة من بلاد الجريد المشهورة بعلمائها الإباضيّين كأبي محمّد ماكسن بن الخير الجراميّ الوسيانيّ (ت 491هـ/ 1097م)، وأبي عبد الله بن زوزرتن الوسيانيّ، وأبي عبد الله مزين الوسيانيّ، وأبي عمران موسى الوسيانيّ، حيث ذكره كلّ من الدّرجينيّ والشّمّاخيّ في تراجمهم لرجال الإباضيّة[5]. كما عاش الوسيانيّ بين الجريد وأريغ ووارجلان[6].

بحيث قضى فترة من الزّمن بوارجلان أهمّ معاقل الإباضيّة بعد انقراض الدّولة الرّستميّة[7]،فاشتهر كمؤرّخ وكذلك كراو[8].

---

[1]– الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، ص121.

[2] –بابا عليّ وآخرون، المصدر السّابق، ج2، ص204.

[3]– **قسطيليّة:** مدينة كبيرة عليها سور حصين، ولها نخيل كثيرة والتّمر، والقسب بها كثير، وفيها الأترج الكثير الحسن الطّيّب الزّكيّ،وأكثر الفواكه بتمورها في خلال أجنّتها ونخلها أكثر منه بغيرها ممّا يجاورها، أنظر: ابن حوقل (أبو القاسم النّصيبيّ)، صورة الأرض، مطبعة بريل، ليدن، 1928م، ص92.

[4]– الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، ص121.

[5]– ناصر الدّين سعيدوني، **من التّراث التّاريخيّ والجغرافيّ للغرب الإسلاميّ**، تراجم مؤرّخين ورحّالة وجغرافيّين، د ط، دار الغرب الإسلاميّ، د ت، ص76.

[6]– الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1،ص47.

[7]– بابا عليّ وآخرون، المصدر السّابق، ج2، ص204.

[8]– تاديوش ليفيتسكي، **المؤرّخون الإباضيّون في إفريقيا الشّماليّة**، تر: ماهر جرار وريما جرار، د ط، منشورات تاوالت الثّقافيّة، 2007م، ص62.

ب. تعليمه وثقافته:

يذكر كلّ من الدّرجينيّ والشّمّاخيّ أنّه كان يحفظ عن ظهر قلب السّير والآثار الإباضيّة الّتي نقلت عنه فيما بعد في مجموعات الأخبار التّاريخيّة اللّاحقة، ويعود إليه الفضل في أنّ المصادر حافظت على القسم الأكبر من الآثار القديمة المتعلّقة بأعلام الإباضيّة المشهورين المنتمين بالأصل إلى إفريقيا الشّماليّة[1]. وفي هذا الصّدد نجد الدّرجينيّ قد صنّفه ضمن الطّبقة الثّانية عشر (550-600هـ/ 1155-1203م)، وقال عنه: "هو أحد شيوخ الحلقة الكبار، الحافظ للسّير والآثار، الّذي رويت عنه التّواريخ والأخبار، لم تفته سيرة لأهل الدّعوة في كلّ الأعصار، وجملة أوصافه باختصار أنّك مهما وجدت في هذا الكتاب أو غيره رواية قديمة عن أبي الرّبيع، فهو راويها عن شيوخه الكبار"[2]. أمّا الشّمّاخيّ فقد أضاف إلى الفقرة المكوّنة من أربعة إلى خمسة أسطر بقوله: "وله تأليف في السّير الحسن"[3].

تتلمذ الوسيانيّ على يد الشّيوخ الإباضيّين من أمثال أبي زكريّاء يحيا بن أبي بكر الورجلانيّ المتوفّى سنة (474هـ/ 1181م)، وكان الوسيانيّ في ذلك العهد من أبرز الرّواة[4]، ومن أبرز شيوخه نذكر:

- الشّيخ أبو محمّد عبد الله بن محمّد بن ميّال بن يوسف اللّوّاتيّ العاصميّ (432-528هـ/ 1040-1133م):

هو نجيب النّجباء وإمام الأدباء، المعتني بحفظ الأخبار، وتقييد سير الأخيار، درس العلوم زمانا وصحب الأشياخ ضروبا وألوانا، حتّى غدا وافر البضاعة في كلّ الفنون، مقلّدا في كلّ

---

[1]- ليفيتسكي، المرجع السّابق، ص63.

[2]- الدّرجينيّ (أبي العبّاس أحمد بن سعيد)، **طبقات المشايخ بالمغرب**، حقّقه وقام بطبعه إبراهيم الطّلّاي، مطبعة البعث، الجزائر، 1974م، ج2، ص513.

[3] -الشّمّاخيّ، **السّير**، تح: أحمد بن مسعود السّيابيّ، ط2، وزارة التّراث القوميّ والثّقافة، سلطنة عمان، 1412هـ/ 1992م، ج2، ص113.

[4]- الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، ص ص121- 122.

مفروض ومسنون، قرأ عليه جماعة من التّلامذة فنجبوا وطلبوا، ففازوا بما طلبوا[1]، وقد أضاف بابا عليّ وآخرون بقولهم: "أنّه عالم جليل من المشايخ ببلاد أريغ، عليه العمدة في رواية تاريخ الإباضيّة، وقد كان جدّه ميّال عاملا للإمام الرّستميّ أفلح بن عبد الوهّاب (171-208هـ/ 787-823م) على نفزاوة، وأمّا والد جدّه يوسف اللّوّاتيّ فكان وزيرا للإمام أفلح الّذي ولد ببرقة.

ولمّا بلغ عمره 18 سنة هاجر إلى آجلو في بلاد أريغ، وتتلمذ على مشايخها، ومنهم أبو الرّبيع سليمان بن يخلف المزاتيّ، وأبو محمّد ماكسن بن الخير الجراميّ، وأبو سليمان داود بن أبي يوسف، ويزيد بن يخلف، وانتقل في تعلّمه بين حلقات هؤلاء العلماء[2].كان مولعا بجمع الكتب والسّفر، وقد برع في اللّغة والتّفسير وعلوم القرآن خاصّة بعدما التقى بالشّيخ سليمان بن مدرار النّفوسيّ بعد قدومه من قلعة بني حمّاد ورؤيته لتفسير عبد الرّحمان بن رستم (160هـ/ 787م) ورغم فشل رحلته الّتي قام بها إلى القلعة إلّا أنّه جمع كتبا وقام بإرسالها في مرّات عديدة، فمنها ما ضاع بسبب الغارات على القوافل، ومنها ما سلم، وبعد أن حقّق مبتغاه العلميّ قرّر الجلوس للتّدريس في بلدته تنوال.[3]

- الشيخ أبو ماكسن بن الخير بن محمّد الجراميّ اليفرنيّ (491هـ/ 1097م):

يعدّ من أهمّ الرّواة الإباضيّين في شمال إفريقيا، وهو من قبيلة زناتة من بني وسيان في بطن بني جرام الّذي استقرّ بوارجلان، تتلمذ على يد الشّيخ أبي محمّد وسلان بن أبي صالح بجزيرة [4]جربة[5]. وتنقّل بغية التّعلّم والتّعليم بين تين تلاث ووارجلان، تين يسلي، آسوف، آجلو

---

[1]- الدّرجينيّ، المصدر السّابق، ج2، ص470.

[2]- بابا عليّ وآخرون، المصدر السّابق، ج2، ص272.

[3]- الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، ص ص127-128.

[4]- ليفيتسكي، المرجع السّابق، ص52.

[5]- **جربة:** جزيرة في بحر إفريقيّة، أقرب بلادها إليها قابس، يسكنها قوم من الخوارج وغيرهم، والنّفاق موجود في جبلّتهم، ولا يتكلّمون بالعربيّة، وهم أهل فتنة وخروج عن الطّاعة، وتغلّب عليها طاغية صقليّة سنة 529هـ، ثمّ نبذوا طاعته فغزاهم ثانية ورفع جميع سبيها إلى المدينة. أنظر: الحميريّ (محمّد بن عبد المنعم)، الرّوض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عبّاس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م، ص170.

تينوان، طرابلس، فقام بتأسيس حلقات علم وتخرّج على يد علماء من بينهم الشّيخ أبو محمّد العاصميّ، روي عنه السّير ورواه عنه الوسيانيّ في العديد من الأماكن[1]، كما أنّه كان أنجب تلميذ، وكان كلّ من رآه يستغرب ذكاءه وبراعته، وكثرة حفظه، إلّا أنّه كان مع ذلك سريع الغضب، حادّ الكلام[2].

- الشّيخ أبو عمر عثمان بن خليفة السّوفيّ المزغنّيّ:

وهو في أهل المذهب أحد الأعلام، الكاشف بحسن بيانه ونور منطق لسانه دياجي الظّلام، المفتي في العلوم لا سيما علم الكلام، المدافع عن كلمة الإسلام، حتّى أنّ له في مواطن اللّين قراعا بلسان مخدام، وربّما كان في محلّ هدنة فاشتعل الإضرام ولم يعبأ بمن قال لكل مقام مقال.[3]

من هذا الوصف تتّضح لنا شخصيّة أبي عمر عثمان العلميّة، فهو فصيح اللّسان، كما أنّه يهتمّ بعلم الكلام أكثر من أيّ فنّ آخر. ينتمي إلى قبيلة زناتة البربريّة، وحسب اسمه فهو من منطقة آسوف، وتجوّل منها بين الحامّة ووارجلان وطرابلس. أخذ العلم عن أبي العبّاس أحمد بن محمّد بن بكر(ت: 504هـ/ 1111م) وعن أبي الرّبيع سليمان بن يخلف المزاتيّ (ت: 471هـ/ 1078م)، وعن أبي سليمان أيّوب بن إسماعيل(ت: قبل 571هـ/ 1175م).[4]

كما أنّه أحي المذهب بتآليفه الهامّة، كانت له حلقات العلم، تخرّج فيها علماء أفاضل، وامتاز بمقدرته الجدليّة في الدّفاع عن المذهب، نشأ في عصر ازدهرت فيه الحركيّة العلميّة بوارجلان.

---

[1]- الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، ص129.

[2]- الدّرجينيّ، المصدر السّابق، ج2، ص430.

[3]- الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج2، ص483.

[4]- نفسه، ج1، ص ص129- 130.

والتقى أبرز أعلامها ومن رفاقه أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلانيّ (ت: 570هـ/ 1174م)، وأبو عمّار عبد الكافي (ت: قبل 570هـ/ 1174م).[1]

- أبو نوح صالح بن إبراهيم بن يوسف الزّمرينيّ التّجمّميّ حيّ في سنة (557هـ/ 1161م):

من علماء أريغ، ولقد روى عن الشّيخ عيسى بن يرصوكسن، وعن أبي عمّار عبد الكافي وأبي سليمان أيّوب، ومصالة بن يحي، له كتاب في السّير، وروى عنه الوسيانيّ روايات كثيرة ولقد درس الشّيخ صالح بن إبراهيم عن أبي سليمان داود بن إلياس اليرتاجنّيّ الوارجلانيّ (ت: 462هـ/ 1069م)، الّذي كان يدرس بقنطرار، وكان المشايخ ينتقلون إليه، ومن الطّلبة الّذين عاصروا الشّيخ صالح: الشّيخ أبو عمر عثمان بن خليفة السّوفيّ، والشّيخ أبو محمّد عبد الله بن محمّد العاصميّ.[2]

ومن المشايخ الّذين روى عنهم الوسيانيّ روايات متفرّقة نذكر:

- الشّيخ أبو سليمان داود بن ويسلان الزّوّاغيّ (ت: بعد 504هـ/ 1111م)، من فقهاء جربة.[3]
- الشّيخ المنصور بن موسى بن يعقوب (ق6هـ/ 12م)، من شيوخ وغلانة.
- الشّيخ أبو القاسم عبد الرّحيم بن عمر (ت: بعد 504هـ/ 1111م)، أخذ العلم عن أبي محمّد ويسلان (350هـ/ 961م)، وعن سعد بن يفاو، وكان ضمن الطّلبة الّذين دوّنوا عن شيخهم ويسلان كتابه الوصايا والبيوع.
- الشّيخ ياتياسين بن حمّو، حيّ بين (438- 528هـ/ 1046-1133م)، والّذي أورد بعض فتاويه.
- الشّيخ أبو عبد الله محمّد بن داود (ت: 555هـ/1160م)، أصله من تونين بوادي أريغ ألّف كتابا في السّير والتّاريخ.

---

[1]- بابا عليّ وآخرون، المصدر السّابق، ج2، ص287.

[2]- الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، ص131.

[3]- نفسه، ج1، ص131.

- الشّيخ بكر بن أبي بكر الفرسطائيّ، والد أبي عبد الله محمّد بن بكر (ت: 440هـ/ 1048م)، واضع حلقة العزّابة.
- الشّيخ إسحاق بن إبراهيم بن يوسف، أبو حمزة (ق6هـ/ 12م)، خال أبي زكريّاء[1].

- **المناطق والحواضر الّتي نشأ فيها الوسيانيّ:**

تعدّ أريغ وما جاورها مثل وارجلان، آسوف والجريد من المناطق الّتي شهدت حركة علميّة وحضارة إسلاميّة متميّزة من لدن اعتناقها الدّين الإسلاميّ الحنيف، وامتهانها تجارة الذّهب إلى غرب السّودان، ممّا أضفى على المنطقة حلل الرّفاهية والثّراء.

- **أريغ:** وتنسب هذه المنطقة إلى قبيلة بني ريغ، وبني ريغة، يتّصل نسبهم ببني مغراوة،ويتّصل نسبهم بزاكيا، مثل قبيلة بني يفرن وبني واسين[2]، وجدهم الأول الدّيرت بي جانا، أي زناتة.[3]

وامتاز أهلها بأخلاقهم الحسنة، ونرى ذلك جليّا في شهادة أبي عبد الله محمّد بن بكر(ت: 440هـ/ 1048م)، وكانت سببا في حلوله بينهم إذ قال بعد أن استخار الله واستشار أصحابه قائلا لهم: "إنّ ها هنا ناسا رقاق القلوب، أرجو أن ينتجع فيهم الإسلام ويتلقّوا ما نحن عليه بالقبول ويكونوا لهذا الخير أهلا، وهم مغراوة ريغ".[4]

---

[1]– الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، ص132.

[2]– **بني واسين:** هي قبيلة بربريّة تشكّل بطنا من زناتة الّتي كانت تسكن في قسطيليّة. أنظر: ليفيتسكي، المرجع السّابق، ص62.

[3]– **زناتة:** هي ناحية سرقسطة من جزيرة الأندلس، ينسب إليها أبو الحسن عليّ بن عبد العزيز الزنّاتي. أنظر: ياقوت الحمويّ (شهاب الدّين أبي عبد الله): معجم البلدان، د ط، دار صادر، بيروت، 1977م، ج3، ص151.

[4]– الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، ص ص131– 132.

ويقال ريغة: إقليم بالقرب من قلعة بني حمّاد بالمغرب، وقلعة بني حمّاد هي أشي،وريغ كلمة بربريّة معناها السّبخة[1]، فمن يكون منها يقال له الرّيغيّ.[2]

- **بلدة أعمر**: تين باما طوس، آجلو الغربيّ، آجلو الشّرقيّ، تكاد هذه الأسماء تشكّل مدينة واحدة، حيث اهتمّت المصادر التّاريخيّة بهذه العاصمة الثّقافيّة اهتماما كبيرا، ولعلّ من كلّل هامها بأكاليل النّصر ،وصيّرها كعبة القصّاد هو ذلك الطّود الأشمّ العالم: الشّيخ أبو عبد الله بن بكر الفرسطائيّ النّفوسيّ (345-440هـ/ 957-1048م)، الّذي صنّفه الدّرجيني ضمن الطّبقة التّاسعة (400-450هـ/ 1009-1058م)[3]واصفا إيّاه بأنّه "الطّود الّذي تضاءلت دونه الأطواد، والبحر الّذي لا تقاس به الثّماد... أسّس قواعد السّيرة، وله في كلّ فنّ تآليف كثيرة".[4]

أخذ العلم عن الشّيخ أبي نوح وسعيد بن زنغيل (350-400هـ/ 962-1009م)، أنشأ نظام العزّابة سنة (409هـ/ 1018م) فكان نظاما رائعا، لا تزال بعض نظمه التّربويّة لم تطبّق بعد في المدارس المعاصرة، مثل الانضباط المفروض في الدّراسة والنّوم والرّاحة، واللّباس الموحّد في اللّون والبساطة، وكذا نوع العقاب: الخطّة والهجران للكبار، والزّاوية والجلد للصّغار.

وقد كان ابنه أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن بكر المتوفّى (504هـ/ 1111م) بآجلو خير خلف لخير سلف، بحيث كان شغوفا بطلب العلم، ويتجلّى ذلك من خلال قراءته للعديد من الكتب، وقد ترك مؤلّفات عدّة من بينها: كتاب أبي مسألة، كتاب تبيين أفعال العباد، كتاب في

---

[1] -**السّبخة**: الهباء وأنّه ظلمة خلق الله فيما خلق، ثمّ رشّ عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك اهتدى، ومن أخطأ ضلّ وغوى. أنظر: عليّ بن السّيّد الشّريف الجرجانيّ، التّعريفات، تح: محمّد الصّدّيق المشاويّ، د ط، دار الفضيلة، مصر، 817هـ/ 1413م، ص111.

[2]-الحمويّ، المصدر السّابق، ج3، ص113.

[3]- الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، ص71.

[4]- الدّرجينيّ، المصدر السّابق، ج2، ص377.

مسائل التّوحيد وكتاب القسمة وأصول الأرضيين الّذي يعتبر أهمّ كتاب في العمارة الإسلاميّة ويعود الفضل إليه في تنظيم العمارة الإسلاميّة على أساس الرّوابط الشّرعيّة.[1]

- **تاجديت (أو تجديدين، تقديدين):** كلمة تاجديت تعني بالبربريّة: الجديدة، توجد هذه المدينة قرب مدينة جامعة، وآثرنا تناولها لأنّها تمثّل حقّا في الفترات التّاريخيّة القديمة عاصمة علميّة فريدة، ويرجّح الشّيخ أبو اليقظان (261-281هـ/ 874-894م) -رحمه الله- أنّ التّسمية "تاجديت" كانت تيمّنا ومقابلة لكلمة "تاقدمت" (تاهرت القديمة).[2]

ومن مشايخها: محمّد بن عيسى بن إبراهيم الهوّاريّ (ق5هـ/ 11م)، والّذي عقد رحلة إلى الحجّ مع عدد من العلماء منهم ماكسن بن الخير، وسليمان بن موسى الزّلفينيّ، وعبد السّلام بن عمران. كما أنّه التقى بواضع نظام العزّابة الشّيخ أبي عبد الله محمّد بن بكر (ت: 440هـ/ 1049م) قرب تمولست في إحدى رحلات الشّيخ لنشر العلم ومبادئ نظام الحلقة ببلاد أريغ والرّاجح أنّه أخذ عنه واستفاد من علومه،جلب معه من عمان نفائس الكتب، وأنفق في سبيلها أموالا طائلة، وهو الوحيد الّذي ملك موسوعة بيان الشّرع في 72 مجلّدا، وترك خزانة عامرة بهذه المخطوطات.[3]

بالإضافة إلى العالمة مغريت بنت يعلو اللّوّاتيّة مع أخيها، ومن علمائها أيضا: الشّيخ يوسف بن يعقوب بن تيمال (ق5هـ/ 11م)، الّذي أخذ العلم عن الشّيخ ورسفلاس بن مهدي (ق5هـ/ 11م)،[4] وقد دخل قصر "ولمّ" وفيه خزانة نفوسة، فمكث فيها اثني عشر عاما يدرس العلم ويطالع دواوين أبيه، ولا يرى خارجا إلّا لحاجة الإنسان، فبرز في الفنون.[5]

---

[1]-الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، من ص71، 72، 73.

[2]- نفسه، ج1، ص74.

[3]- الدّرجينيّ، المصدر السّابق، ج2، ص393.

[4]- الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، ص74.

[5]- بابا عليّ وآخرون، المصدر السّابق، ج2، ص444.

- **وغلانة:** وهي أيضا غير بعيدة عن مدينة جامعة، ولا تزال خرائبها القديمة موجودة قرب وغلانة الحاليّة، ولعلّ من أهمّ علمائها نجد: أبا محمّد عبد الله بن يعقوب بن هارون الوغلانيّ (ق6هـ/ 12م)، وقد ذكر الوسيانيّ نبوغ هذا الفتى، حتّى استقضاه شيوخ وغلانة قائلا: "وإنّما أرادوا بذلك تدريبه، ومراقبة أحواله وهم أحياء، ولم يؤخذ عليه شيء طيلة قضائه إلّا ما ندر".[1]

كذلك نذكر المنصور بن موسى بن يعقوب (ق6هـ/ 12م)، الّذي يعتبر من شيوخ وغلانة ببلاد أريغ منطقة تقرت جنوب شرق الجزائر، عاصر أبا الربيع سليمان بن عبد السّلام الوسيانيّ،وعبد الله بن عبد الأعلى، وروى عنه الوسيانيّ.

ولقد كان القضاء بوغلانة في تلك السّنين جماعيّا يتولّاه المشايخ، إذا تخاصم شخصان فترافعا إلى شيوخ وغلانة، وكان منهم المنصور بن موسى بن يعقوب.[2]

- **تقرت:** وهي مدينة قديمة بناها النّوميديّون على جبل في شكل نتوء، يمرّ في سفحها نهر صغير يقطعه جسر متحرّك، كما يوجد ذلك في أبواب المدن.[3]

فمن أبرز مشايخها نذكر: الشّيخ عبد الرّحمان بن المعلا (500هـ-550هـ/ 1105-1155م)، أسّس حلقة العلم في مدينة تقرت[4]، يقول عنه الدّرجينيّ: "هو أوّل من أسّس مسجدا بتقرت، وأنهج طرقها، وأحكم عقودها وأوثقها، وقيّدها ووقّتها، وحجر على تلامذته أزقّتها، وقسط موازينها، وحقّق قوانينها، فتخلّق كلّهم بحميد هذه الأخلاق".[5]

---

[1]- الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، ص74.

[2]- بابا عليّ وآخرون، المصدر السّابق، ج2، ص425.

[3]- حسن الوزّان، **وصف إفريقيا**، تر: محمّد حجّي، ط2، دار الغرب الإسلاميّ، منشورات الجمعيّة المغربيّة للتّأليف والتّرجمة والنّشر، د ت، ج2، ص135.

[4]- الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، ص75.

[5]- الدّرجينيّ، المصدر السّابق، ج2، ص457.

يتبيّن لنا من خلال هذا ما فعله الشّيخ عبد الرّحمان بن المعلى في تأسيسه الحلقة من جهة واستخدامه لضوابط يسير عليها الطّلبة من جهة أخرى، وممّا يدلّ على نجاح نظامه اشتهاره في الآفاق، ومجيء طالبي العلم من أماكن بعيدة.[1] وأضاف الدّرجينيّ قائلا: "وتيمّمها طلّاب الخير من جميع الآفاق، يشاهدون البراهين والعبر، يشهدون المنافع الكبيرة ويأخذون سنن التّقاة والسّير، ويصدّقون المخبر والخبر".[2]

ومن مشايخ منطقة تقرت الّذين ذكروا في كتاب السّير نذكر: أبا عبد الله محمّد بن الخير بن أحمد [3](أبو عبد الله) (450-500هـ/ 1058-1106م)، وهو عالم بارز من وادي أريغ بناحية تقرت (الجزائر حاليا)، من عائلة شريفة اشتهرت بالعلم والصّلاح، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.[4]وقد أخذ العلم في كدية مغراوة، وكان من تلامذة أبي عبد الله محمّد بن بكر، كما اهتمّ إلى جانب العلم بالفلاحة، أمّ النّاس فصلّى بهم حتّى بلغ به السّنّ مبلغا متقدّما.[5]

وبمجمل القول، تعتبر هذه المناطق الّتي انتقل بينها الوسيانيّ حواضر متميّزة، بحيث نهل من علمائها، فكانت سببا في تكوين ثقافته وشخصيّته، كما لا يفوتنا أن نذكر أهمّ ظاهرة تعتبر مبكّرة بالنّسبة للتأليف وهي ظاهرة تأليف الموسوعات المشتركة بين عدّة علماء.

[1]- الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، ص75.

[2] -الدّرجينيّ، المصدر السّابق، ج2، ص457.

[3]- الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، ص75.

[4]- بابا عليّ وآخرون، المصدر السّابق، ج2، ص364.

[5]- الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، ص75.

ج. عصره:

- البيئة الثّقافيّة:

عاش الوسيانيّ عصر الثّقافة والنّشاط العلميّ، فتأثّر بتلك البيئة حيث نجده قد اهتمّ بتأليف كتاب يتحدّث عن مناقب ذلك الوقت، ليس ذلك فقط، بل قام بإبراز المشايخ الّذين سبقوه وكانوا سببا في وجود المناخ الّذي عاش فيه.[1]

كان نظام التّعليم السّائد هو نظام العزّابة [2]أو الحلقة، والّذي نشأ بعد سقوط الدّولة الرّستميّة.[3] وبهذا نجد الكثير من النّاس قد اهتمّوا بهذا النّظام فأصبح شائعا بينهم، فكثرت المراكز العلميّة الّتي كانت موزّعة من جبل نفوسة إلى جربة، إلى وارجلان مرورا بالجريد.[4] ومن الأسباب الّتي أدّت إلى تطبيق هذا النّظام الظّروف الّتي مرّت بها الإباضيّة منذ القرن الهجريّ الثّالث، حيث سعى العلماء إلى وضع أسس يمكن من خلالها تطبيق الشّريعة الإسلاميّة بين تجمّعات الإباضيّة ما دامت الدّولة عاجزة عن ذلك.[5]

فبعد أن يئس الإباضيّة من إقامة إمامة يتولّاها إمام عادل يقيم الحدود، خاصّة بعد رفض أبي يوسف يعقوب بن أفلح، وبعد مدّة طويلة بقيت الأمور سائبة كما قيل، لا في إمامة ظهور، ولا شراء ولا دفاع، أرسل الشّيخ أبو زكريّاء فصيل بن أبي مسور ابنيه زكريّاء ويونس، وابن أخته أبي بكر يحي إلى أبي عبد الله محمّد بن بكر من جربة طالبا منه إنشاء حلقة، بقي الشّيخ أبو عبد الله يفكّر أربعة أشهر في ذلك، ثمّ تمّ إنشاء هذا النّظام الّذي اقتضى الانصراف

---

[1] –الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، ص81.

[2] – **نظام العزّابة:** اشتقّت كلمة عزّابة من العزوب عن الشّيء، وهو البعد عنه، أو العزّابة بمعنى العزلة، والعزّابة يقصد بها في هذا الاستعمال الانقطاع إلى خدمة المصلحة العامّة. أنظر: إلياس حسين، المرجع السّابق، ص51.

[3] – الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، ص83.

[4] – نفسه، ج1، ص81.

[5] –إلياس حسين، المرجع السّابق، ص51.

عن الأهل والأقارب، فيجتمع الطّالب مع إخوانه الطّلبة في دار خاصّة بهم، وفي بعض الأحيان في غرف ملاصقة للمسجد. وعادة ما تكون الموادّ المدرّسة في صميم الشّريعة.

بدءا من تعلّم اللّغة العربيّة وإتقانها، ثمّ ما يخدم القرآن من تفسير لآياته وشرح لكلماته، ثمّ الفقه والأصول، والحديث والفرائض وغيرها.[1]

كما تقوم هيئة العزّابة مقام الإمام في حالة الظّهور مع بعض الاستثناءات تماشيا مع مرحلة الكتمان في غياب إمام صريح، لأنّها في الأخير تخضع لسلطة سياسيّة تختلف مذهبيّا معها، كإقامة الحدود مثلا لما تثيره من حساسية مع السّلطة الحاكم[2]، فمن مهامّها نجد المهامّ الدّينيّة أي أن يكون عالما بما مضى من الكتاب والسّنّة، كذلك نجد المهامّ الاجتماعيّة والّتي تربط بين أفراد المجتمع بحيث يحرص مجلس العزّابة على تنظيمها، إضافة إلى المهامّ الاقتصاديّة والتّربويّة.[3]

ويشترط على العلماء أن يبلغوا درجة عالية من العلم والورع والزّهد قبل تصدّرهم المجالس العلميّة لطلّابهم، كما يجب على طالب العلم أن يقبل على العزم بجدّ ونشاط واجتهاد[4].

ومن أبرز شروط الحلقة نذكر:

- أن يكون أديبا كيّسا
- أن يكون مستمرّا في طلب العلم
- ألّا يكثر دخول الأسواق
- أن يغسل جسده بماء، ويغسل قلبه بماء وسدر

---

[1]- الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، ص ص83- 84.

[2]-محمّد زقّاوي، **الاتّجاه الكلاميّ عند الإباضيّة بالغرب الإسلاميّ**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه الطّور الثّالث، جامعة معسكر، 2018- 2019م، ص204.

[3]- محمّد الصّلابيّ، المرجع السّابق، ص ص603- 606.

[4]- الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، ص84.

- أن يكون حافظا للقرآن

- ويكون ممّن يحتاج إليه في بعض المواضيع يلزمها[1]، وهنا نجد الوسيانيّ يشير إلى هذه الشّروط من خلال قوله: "ويشترط فيه الإذعان كلّه لأوامر شيخه أو العرفاء، وهم الّذين توكل إليهم بعض المهامّ"، وقال أيضا: "وممّا يشترط على الطّالب أن يراعي مقام العلم، فيعمد إلى اللّباس الخاصّ الأبيض الّذي يخلو من الألوان والتّطريز".

ومن بين ما يراعى في نظام التّعليم، الرّحلات العلميّة إلى المناطق الّتي تفتقر إلى العلماء، فيستغلّ العوامّ وجود المشايخ والطّلبة لطرح أسئلتهم، وينشرح صدر الطّلبة بتغيير المكان والتّعرّف على مناطق جديدة[2] وبهذا زخرت المكتبات بالمصنّفات الدّينيّة، وأصبح عصر الوسيانيّ عصر نشاط علميّ أنجب كثيرا من العلماء الفطاحل، سواء أكانوا من الإباضيّة الّذين عاصروه أم من غيرهم.[3]

- **البيئة الاقتصاديّة:**

يعتبر الجانب الاقتصاديّ من بين المؤثّرات على كلّ الأفراد والكائنات، فقد يكون الغنى سببا في استقرار النّاحية النّفسيّة، فيزداد طالب العلم اهتماما بالكدّ والتّحصيل، وقد يكون شاغلا وملهاة عن طلبه، فيتحوّل إلى تاجر تأخذ التّجارة جلّ وقته، وتلهيه الأسفار البعيدة عن فتح أسفار العلم.

---

[1]- سامية مقري، **التّعليم عند الإباضيّة في بلاد المغرب من سقوط الدّولة الرّستميّة إلى تأسيس نظام العزّابة، 296- 409هـ/ 909- 1018م**، مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في التّاريخ الوسيط، جامعة قسنطينة، 2005- 2006م، ص71.

[2]- الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، ص ص84- 85.

[3]- نفسه، ج1، ص82.

1- الزّراعة:

لا شكّ أنّ المحيط يغلب عليه الطّابع الزّراعيّ، فالمنطقة منطقة النّخيل، والكلّ يهتمّ بغرسه لأنّه المورد الأساسيّ لرزقه، والأمن الغذائيّ له ولأسرته، خاصّة وقت القحط، فقلّما تجد إنسانا في الواحات لا يملك نخيلات مع النّاس يسدّ بتمرها رمقه.

كما أنّ الاهتمام بالجانب الحيويّ –وهو الماء– أمر بالغ الأهمّيّة[1]، ويصف ياقوت الحمويّ قصطيليّة وعاصمتها توزر بأنّها مدينة حصينة لها أربعة أبواب، عليها سور مبنيّ بالحجر والطّوب، ولها جامع محكم البناء وأسواق كثيرة، وحولها أرباض واسعة، وهي كثيرة النّخيل والبساتين إذ تعدّ من أكثر بلاد إفريقيّة تمرا[2]، وأضاف صالح بابجيّة عنه فقال: "وأرضها سبخة بها نخل كثير".[3]

2- التّجارة:

أما عن التّجارة، فقد كانت المنطقة كلها منطقة لعبور القوافل التّجاريّة، تصل الغرب بالشّرق والشّرق بالغرب، وكانت مقايضة الذّهب بالملح شيئا مربحا تحلبت له الأشداق، فضرب أكباد الإبل كلّ من استطاع إلى ذلك سبيلا، ومن بين المسافرين إلى تلك المناطق النّائية علماء بارزون وفقهاء لهم باع في الإفتاء والتأليف والدّعوة إلى الله فضلا عن التّجّار. وفي عهد الإمام أفلح بلغت التّجارة السّؤدد ومنتهى العزّ والتّرف، إلى حدّ أنّ بعض التّجّار صار يمتلك سوقا قائمة بنفسها، وأنّهم جلبوا التّبر وضربوه دنانير للتّعامل واتّخذوه حليّا.[4]

---

[1]– الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، ص88.

[2]– الحمويّ، المصدر السّابق، ج2، ص57.

[3]– صالح بابجيّه، **الإباضيّة بالجريد في العصور الإسلاميّة الأولى**، ط1، دار بوسلامة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، تونس، ص9.

[4] –الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، ص ص91– 92.

أمّا عن المسالك التّجاريّة، فهي كثيرة صوب غرب إفريقيا، حيث كان هناك طريق تسلكه القوافل مارّة بوارجلان إلى القليعة متّجهة إلى واحات توّات، ويذهب فرع منها إلى أقبلي.

ثمّ تتّجه إلى تمبكتو وإلى نهر النّيجر. بالإضافة إلى الطّريق الرّابط شمالا إلى تاهرت ومنه إلى الأندلس عبر مرسى الدّجاج[1]، إلى جزيرة ميورقة، ثمّ إلى قرطبة داخل شبه جزيرة إيبيريا.[2]

2. كتاب السّير للوسيانيّ:

أ- محتوى الكتاب:

يعتبر كتاب السّير للوسيانيّ أحد المصادر الرّئيسيّة لجمع المؤلّفات الإباضيّة التّاريخيّة والسّيريّة، الّتي تمّ تأليفها في القرون التّالية، ومن بينها كتاب الدّرجينيّ. ونستنتج من مقدّمة كتاب السّير بأنّه لم يكتب من قبل الوسيانيّ نفسه، بل من قبل شخص آخر هو على الأرجح أحد تلامذته الّذين يتابعون الدّروس عن السّير، وقام بتدوينها، ويظهر ذلك من خلال السّند المذكور، وقال: "وذكر شيوخي الثّلاثة أبو عمرو وأبو نوح وأبو الرّبيع رحمهم الله"، وقال أيضا: "وقال أبو الرّبيع سليمان بن عبد السّلام بن حسّان بن عبد الله الوسيانيّ رحمهم الله".

ويتألّف الكتاب من ثلاثة أجزاء، كلّ جزء منها يبدأ بخطبة وينتهي بخاتمة، وقد ثبتت صحّة تأليفه للجزء الأوّل، بينما يرجّح أن يكون الجزء الثّاني من تأليف أحد تلاميذه، ومن المحتمل أن يكون الجزء الثّالث مأخوذا من كتاب سير أبي زكريّاء بن أبي بكر الوارجلانيّ.

وقد تضمّن الجزء الأوّل من الكتاب شقّين، ففي الشّقّ الأوّل جانب الدّراسة، وفي الشّقّ الثّاني جانب التّحقيق.

---

[1]- **مرسى الدّجاج:** مدينة أزليّة على شاطئ البحر، والبحر يضرب في سورها، وهي قديمة البناء وفيها آثار عجيبة للأوّل، ولها بساتين وجنان، وبها الطّير المسمّى بالسّمّان، كثير من البحر، ويقابلها جزيرة ميورقة. أنظر: مؤلّف مجهول (ق 6هـ/ 12م)، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، د ط، الدّار البيضاء، 1985م، ص131.

[2]- الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، ص ص95- 96.

أمّا عن شقّ دراسة الكتاب:

فقد قسّم الجزء الأوّل إلى بابين، وكلّ باب إلى فصول، وكلّ فصل إلى مباحث. فالفصل الأوّل الّذي كان تحت عنوان بيئة الوسيانيّ الطّبيعيّة ركّز في المبحث الأوّل على البيئة الطّبيعيّة وأثرها في الإنسان حسب ابن خلدون، فاختصّ بالذّكر بيئة الوسيانيّ الطّبيعيّة، فأبرز المنطقة والبيئة الّتي عاش فيها الوسيانيّ بأنّها باردة شتاء وحارّة صيفا، قد تكون مجدبة خارج الواحات تعتمد على زراعة النّخيل. أمّا فيما يخصّ المبحث الثّاني، فقد تطرّق الكاتب إلى التّعريف بمذهب الوسيانيّ ألا وهو الإباضيّ، ومن بين رجاله المشهورين جابر بن زيد وعبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما. وأهمّ معتقداته: الاعتقاد بخلود أهل الكبائر إذا ماتوا دون توبة مع كونهم من الموحّدين، الخلود في النّار، الشّفاعة، رؤية الله عزّ وجلّ.

وتطرّق في المبحث الثّالث إلى بيئة الوسيانيّ الثّقافيّة، حيث ذكر المناطق والحواضر الّتي نشأ فيها مثل أريغ، بلدة أعمر، تاجديت، وغلانة وتقرت. إضافة إلى ذلك، قام بذكر دور هذه الحواضر في إنشاء الموسوعتين الفقهيّتين (الدّيوانين). كما رأينا أنّه قد اهتمّ بالبيئة الثّقافيّة في عصر الوسيانيّ الّذي تميّز بنشاط علميّ أنجب كثيرا من العلماء. أمّا عن النّظام التّعليميّ في البيئة الّتي عاش فيها الوسيانيّ، فقد نشأ النّظام التّعليميّ في هيئته الأولى والمعروف بنظام العزّابة، ثمّ تمّ إنشاء هذا النّظام، فبطلب العلم مع الأمن خلا المجتمع من الرّذائل، فعكف الطّلبة على العلم والمشايخ بالتّأليف والوفود بالتّزاور. وعرض لنا في المبحث الرّابع الحياة الاقتصاديّة، واختصّ بالذّكر كلّا من الزّراعة، التّجارة والمسالك التّجاريّة. وفي المبحث الخامس تناول الكاتب الحياة السّياسيّة والاجتماعيّة.

أمّا في الفصل الثّاني، فقد تناول مبحثين، ففي المبحث الأوّل الحياة الشّخصيّة للوسيانيّ، وفي المبحث الثّاني الحياة العلميّة للوسيانيّ.

أمّا عن الباب الثّاني، فكان الحديث فيه عن كتابه الّذي ألّفه وتناول ثلاثة فصول، الفصل الأوّل يحتوي على مبحثين، ففي المبحث الأوّل تحدّث عن نسبة الكتاب (أي الإجابة عن الإشكاليّة الّتي نسبت فيها الكتب الثّلاثة في مجموعة الوسيانيّ). وفي المبحث الثّاني، قدّم

وصفا للنّسخ الخطّيّة. أمّا في الفصل الثّاني، فكان الحديث عن مكانة الكتاب وموقعه من المصادر الإباضيّة المغاربيّة السّيريّة السّابقة والمترامية واللّاحقة.

أمّا في الفصل الثّالث، فتحدّث عن المنهج والمحتوى، والّذي يحتوي على مبحثين: المبحث الأوّل عن المنهج والأسلوب، والثّاني عن المحتوى. وبهذا ينتهي قسم الدّراسة.

وبالنّسبة للشّقّ الثّاني (أصل الكتاب المحقّق)، ففي الجزء الأوّل تحدّث عن العديد من الرّوايات منها: روايات أهل جبل نفوسة، روايات عمروس بن فتح النّفوسيّ، روايات أبي معروف ويدرن بن جواد، روايات أبي ذرأبان بن وسيم النّفوسيّ...

أمّا الجزء الثّاني، فيتضمّن مسائل مختلفة، فمن الرّوايات الّتي وردت فيه: أخبار ابن عثمان الدّمجيّ الزّناتيّ وأبي مهاجر موسى بن جعفر، خليل هال الدّرعيّ، أبي ذربان بن وسيم، نمليّ الوسيانيّ وأبي نوح السّعيد بن يخلف المزّاتيّ، أبي يعقوب يوسف النّفوسيّ...

ب- أسباب التأليف وأهمّيّة الكتاب:

1- أسباب التأليف:

-إظهار مناقب السّلف حتّى يتأسّى بهم الخلف.

-إرادة الوسيانيّ من خلال تأليفه لهذا الكتاب أن يسلك منهج الّذين سبقوه من أهل دعوته في التأليف والاقتداء بهم.

-ألّف هذا الكتاب بغرض إظهار الآثار الّتي عفا عليها الزّمان وطواها النّسيان، ومن أجل الحصول على أجر الله وثوابه، وابتغاء وجهه الكريم.

-تأسّيا بشيخه أبي زكريّاء الّذي سبقه إلى تأليف كتاب السّير، فسار على نهجه وألّف مثله اقتداء به.

-رغبة الوسيانيّ في ذكر سير السّابقين ليبيّن أنّهم كانوا وأنّ ذكرهم يمنع فقدهم.

2- أهمّيّة الكتاب:

جاء هذا الكتاب من أجل إيضاح الرّؤية لدى المؤرّخين عامّة لما بين فترة أبي زكريّاء والدّرجينيّ، وإثراء المكتبة الإسلاميّة بكتاب مصدريّ، وإضافة معلومات جديدة تفيد البحث في الحضارة الإسلاميّة، بحيث شكّل حلقة تكمل سلسلة الكتب الإباضيّة.

وقد كان لهذا الكتاب أهمّيّة بالغة في تربية النّشء تربية إسلاميّة صحيحة، حيث أنّه يذكّره بمناقب أسلافه وحفاظهم على الأخلاق الحميدة، كما أنّه كان يهدف إلى معرفة الماضي المشترك بين الأقطار الشّقيقة: ليبيا وتونس والجزائر. فكان يعدّ من جهة إحياء لما اندرس ولما انطمس وطواه النّسيان، أي استعادة ما ضاع من التّراث الإسلاميّ من ديار الغرب، والاطّلاع عليه قبل أن يزول إلى الأبد، ومن جهة أخرى باعثا على الاعتزاز بهم في وقت أراد الغرب إضفاء الأهمّيّة البالغة ومسحة العبقريّة والذّكاء على رجاله ومختلف مدارسه واتّجاهاته، كما يقنع النّاشئة بعلوّ كعبه في كلّ المجالات، ويبعث فيه حبّ الغرب ورجالاته.

ج- مصادر الكتاب:

1- المصادر الكتابيّة:

ذكر الوسيانيّ في كتابه السّير جلّ مصادره دون استثناء، واعتمد على مصادر مدوّنة عديدة إباضيّة وغير إباضيّة، فمصادره الإباضيّة تمثّلت في كتب السّير والطّبقات وهي: كتاب بدء الإسلام وشرائع الدّين لابن إسلام اللّواتيّ، كتاب السّيرة وأخبار الأئمّة لأبي زكريّاء يحي بن أبي بكر الوارجلانيّ، كتاب طبقات المشايخ بالمغرب لأبي العبّاس أحمد الدّرجينيّ، كتاب الجواهر المنتقاة في إتمام ما أحلّ به كتاب الطّبقات لأبي الفضل وأبي القاسم البرّاديّ، كتاب السّير للشّمّاخيّ.

كما كان على اطّلاع على عدد كبير من المصنّفات الإباضيّة ذات الصّبغة الفقهيّة والعقيديّة من المشرق ومن المغرب، وقد ذكر البعض منها بطريقة عرضيّة، فيما تكرّرت الإشارة إلى أخرى مثل: كتاب الدّليل والبرهان لأبي يعقوب يوسف السّدراتيّ الوارجلانيّ، وكتاب المعلّقات لمجهول.

أمّا غير الإباضيّة فتمثّلت في: كتاب تاريخ إفريقيّة والمغرب للرّقيق القيروانيّ، كتاب المقدّمة لابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر للعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر لابن خلدون، كتاب معجم البلدان للحمويّ، كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسيّ، كتاب البلدان لليعقوبيّ، كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان، كتاب الكامل في التّاريخ لابن الأثير، كتاب أخبار الأئمّة الرّستميّين لابن الصّغير، كتاب التّفسير للطّبريّ، وكتاب معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان للدّبّاغ.

2- المصادر الشّفهيّة:

كانت رواية الأخبار والرّوايات الشّفهيّة مادّة هذا المؤلّف، يتناقل كلّ جيل من الكتّاب هذه الأخبار الواحد عن سابقه عن طريق السّماع، فقد اعتمد الوسيانيّ أساسا على الرّوايات الشّفهيّة الّتي وصلته عن طريق المشايخ بدليل وجود العديد من العبارات والأفعال، فقد استعمل بكثرة ضمائر المتكلّم المفرد والجمع، فنجده عندما يتكلّم عن علم الميراث ونحوه يقول: "فحفرت فأخرجت قصعة كبيرة، فوجدت فيها دينار، فقال لي: خذ إرث والدك"[1]. وعند قول الإمام أحمد بن حنبل:"أخبرنا الشّيخ..."[2]بالإضافة إلى ذلك، قد تحدّث الرّبيع بن حبيب صاحب كتاب الجامع الصّحيح فقال: "حدّثني أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أنس بن مالك عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم..."

كما قال الإمام مالك في كتابه وقوت الصّلاة: "حدّثني اللّيثيّ عن مالك بن أنس.." وقال: "حدّثني يحي عن مالك..."، وقال أيضا: "حدّثني يحي عن مالك عن يحي بن سعيد..."[3] وكما نجد هذا في مسند الإمام أحمد بن حنبل، وقد تعدّد الرّواة بعده فقال: "حدّثني أبو محمّد بن حنبل..."، وقال أيضا: "حدّثنا عبد الله... حدّثني أبي، قال حدّثنا عمرو بن محمّد..."[4]

---

[1]- الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج2، ص210.

[2]- نفسه، ج1، ص141.

[3]- الوسيانيّ، المصدر السّابق، ، ج1، ص140.

[4]-نفسه، ج1، ص141.

وقد اعتمد أحمد البختريّ في كتابه الجديد في أدب الجريد على ما كان يسمعه وما يروى له في حياته اليوميّة، بدليل ورود هذه الأفعال، فعندما يتحدّث عن توزر يقول: "سمعت عن بعض الشّيوخ بأنّ مدينة توزر..."[1]، كذلك أبو الرّبيع عندما تحدّث بقوله: "حدّثني أبو سليمان داود..."، وعندما قال: "بلغني أنّه قد ألقي في ديوان المسلمين ألف مسألة..."[2]، وقال: "ولقد بلغني عن أبي عبيدة..."،"وبلغني عن عبد الله بن يزيد النّكّاريّ قال: إنّما غلبنا أصحاب الرّبيع بالآثار..."[3]

د- منهج الوسيانيّ في تصنيف الكتاب:

من خلال دراستنا للكتاب، تبيّن لنا أنّ منهج الوسيانيّ فيه ميولا من الفقه، وذلك لتعدّد المسائل الفقهيّة، حيث كان متأثّرا بمنهج المحدّثين، إذ اعتمد على وضع السّند حتّى يثق بهم من يقرأ عنهم، كما أنّه اهتمّ بالسّند أيّما اهتمام، وبالرّاوي ومنزلته العلميّة، وحتّى عن حالته العقليّة في آخر عمره مخافة الاختلاط والنّسيان، وعن وجوده مع الشّيخ الّذي روى عنه (وهنا يعدّ منهجا تحليليّا مقارنا).

ولقد انتقل هذا المنهج إليه بسبب التّحرّي الّذي ساد عند المحدّثين خوف الافتراء على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[4]، كما نجد العلماء قد اهتمّوا بالشّريعة الإسلاميّة والقيام بالعبادات والمناسك والفرائض. إضافة إلى اهتمام الإباضيّة بالتّفقّه في الدّين مع التّدوين والكتابة، فكثرت المراكز العلميّة، وانتشرت المكتبات الّتي كانت تزخر بجميع كتب الإباضيّة الفقهيّة، وبناء المساجد، كثرة المجالس والرّحلات العلميّة...، كما أنّه لم ينتهج في تأليفه التّقسيم الزّمنيّ، بأن أورد التّراجم حسب تسلسلها حسب المنهج الحوليّ، وجمع من اشتهر من الرّجال في منطقة بعينها، وأورد أهمّ الرّوايات الّتي تخدم النّاحية الأخلاقيّة. كذلك نجده قد انتهج ذكر كرامات

---

[1]- الوسيانيّ، المصدر السّابق ، ص50.

[2]- نفسه، ج1، ص428.

[3] -نفسه، ج1، ص509.

[4]- الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، ص198.

الأولياء الصّالحين وتكرارها من مصدر إلى آخر دون تعقيب عليها أو إبداء موقف الكاتب منها، فقد كان لذكر الكرامات أثرها النّفسيّ على الإنسان حتّى تجعله يحترم العالم المحظوظ برضا الله تعالى، وقد يبقى بين التّصديق والوقوف، كما أنّها تترك انطباعا حسنا وأثرا في النّفس يدعو إلى الاقتداء والتّأسّي بأخلاق هؤلاء الأولياء، بحيث يتمّ نقلها إلى غيرهم دون زيادة منهم أو مبالغة (وبهذا يعدّ منهجا استرداديّا تحليليّا).[1]

وفي الأخير، يمكن القول بأنّ المذهب الوسيانيّ كان إباضيّا، وبما أنّ الإباضيّة تعتمد على القرآن الكريم والسّنّة المطهّرة، فإنّ منهجه يميل إلى الفقه الّذي يعمد إلى إبراز شيء واحد، وهو القضيّة الّتي هي مناط الاعتبار، حيث يقول تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[2]

ثمّ إنّه عاصر الشّيوخ والأئمّة والفقهاء، وأخذ عنهم فنون العلم من الكلام واللّغة والفقه، فقد تعلّم وعلّم، فكتب السّيرة تعبّر عن التّوبة والرّجوع إلى الله بعد الخوض في غمرات الدّنيا.[3]

هـ – أسلوب الوسيانيّ:

تميّز أسلوبه بالسّلاسة، أي سهولة اللّفظ والتّعبير، ورقّته وانسجامه، كما تميّز بالفصاحة فنذكر على سبيل المثال: "حدّثنا أبو الرّبيع عن أبي محمّد عبد الله... كان في مجلس حضر فيه الوهّابيّة..."[4]، كما أنّه يقحم عبارات بربريّة أو أسلوبا خليطا من العربيّة والبربريّة عندما يضطرّ إلى التّرجمة مثل: "تيسكيفين نيسدراتن"، أي: سقايف سدراتة[5].

---

[1]– الوسيانيّ، المصدر السّابق ، ص200.

[2] - القرآن الكريم، سورة يوسف، الآية 111.

[3] –الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، ص87.

[4]– نفسه ، ج1، ص280

[5] – نفسه، ج1، ص47.

أيضا نذكر: "تمانتست" فكلمة "تما" معناها الجهة، وكلمة "تماك" أي جهتي، وكلمة "تماتس" أي جهتك، و "ن" للإضافة، وكلمة "تسنت" تعني الملح، والكلمة "تمانتسنت" تعني جهة الملح أو مكان الملح.[1]

أيضا اعتمد على المحسّنات البديعيّة من سجع وطباق ومقابلة، فقد أورد في كتابه الطّباق ويظهر ذلك من خلال الآية الكريمة **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۝٢٤ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۝٢٥ ﴾[2]

ناضرة: حسنة مشرقة، **ضد باسرة:** شديدة السّواد والعبوس.

والجناس: ناضرة، ناظرة.

أيضا قال: "من صحب الأشرار من الأخيار" [3](الأشرار ≠ الأخيار)

والمقابلة في قوله: "يبعّد القريب ويقرّب البعيد".[4]

كما أورد السّجع فقال: "أحد شيوخ الحلقة الكبار، الحافظ للسّير والآثار، المرويّ عنه التّواريخ والأخبار..."[5]، وأيضا: "الّتي حملتك بين الجنبين، والّتي أرضعتك بالثّديين، والّتي حملتك على الفخذين".[6]

كما نجده قد استعمل الصّور البيانيّة كالتّشبيه في قوله: "فوجدوا رأسه مرشوقا كالبصل بين الصّخور".[7]

---

[1] – الوسيانيّ، المصدر السّابق، ، ج1، ص51.

[2] - القرآن الكريم، سورة القيامة، الآية 22–25

[3] – نفسه، ج2، ص197.

[4] – نفسه، ج2، ص708.

[5] – لدّرجينيّ، المصدر السّابق، ج1، ص513.

[6] –الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج2، ص333.

[7] – نفسه، ج2، ص560.

إضافة إلى ذلك، اعتمد على أسلوب بسيط ركيك كان من عمل الكتّاب من الطّلبة الّذين تلقّوا الأخبار مشافهة، فقد تملى عليهم الفقرة بالعربية الفصحى فيكتبونها كما أمليت عليهم[1]، ويظهر ذلك في قوله: "هذا وقت الرّقاد والسّهر..."[2]، وقوله: "فقعدت قدّام..."[3]، وقوله: "يداوي جراحته..."[4]. واستعمل أسلوب الوصف الّذي طغى على رواياته، كقوله: "عالم ورع، عابد، سخيّ..."[5]، وقوله: "وجدته شيخا فانيا ضعيفا...".[6]

[1] – الوسيانيّ، المصدر السّابق، ، ج2، ص205.

[2] – نفسه، ج2، ص360.

[3]– نفسه، ج2، ص390.

[4] – نفسه، ج2، ص791.

[5] – نفسه، ج2، ص703.

[6] – نفسه، ج2، ص716.

المبحث الثّاني: النّشاط الفلاحي من خلال كتاب سير الوسياني.

1. الملكية الزراعية.
2. النّشاط الزّراعي.
3. النشاط الرّعوي

1. الملكية الزّراعية:

إنّ للأرض أهمية كبيرة في النّشاط الفلاحي، حيث يمارس عليها مختلف الأنشطة الزراعية فقد عرفت بلاد المغرب الأوسط نشاطاً اقتصاديّاً مزدهرًا في شتّى المجالات سواءً الزّراعية أو التّجاريّة أو الصناعية ويعود هذا إلى الاهتمام الكبير بالزّراعة والرّعي منذ القدم باعتبارها موردًا هامًّا وركيزة أساسية، فهي متنوعة وكثيرة فمن بين أنواع الأراضي نذكر: أراضي الملك، الحبس الموات، العنوة والأراضي المشاعة.

كما أن الإقطاع[1] في المغرب كان إمّا إقطاع تمليكٍ أو إقطاع منفعةٍ، فإقطاع التمليك هو أن تصبح الأراضي المقطعة ملك للمقّطع ،وإقطاع منفعةٍ هو أن للمقطّع حق الانتفاع بالأرض وغلّتها دون تمليكٍ[2] وقد ذكره الونشريسيي في كتابه المعيار المعرب:"وسئل ابن عرفة عن الأرض التي تقطّع الأعراب وغيرها من الناس هل تمليك ملكٌ تامٌّ أم لا؟فأجاب بأن إقطاعها إنّما هو إقطاع انتفاعٍ لا ملك " وقال أيضًا :"وسئل عمّن أقطعت له ثمّ مات وخلف ورثته فجرد ظهيرها بعضهم من إمام آخر فأجاب بأن قال:الإقطاع الثّاني ناسخٌ للأوّل"[3].كما أورده الوسياني هو الآخر وقال: "وأقطع ليغلا الأراضي والضّياع بمصر حينما أخذه معه إلى هناك كما مرّ[4]".

فأراضي الإقطاع هي أراضٌ يقطعها الإمام لأحد المسلمين ليقوم باستغلالها والانتفاع منها وقد عرف الرّستميون هذا النّوع من الأراضي ، فإنّ الإمام عبد الوهاب أقطع جماعةً من نفوسة

---

[1]– **الإقطاع، لغة:**مصدر من القطع وهو ابانة بعض اجزاء الجرم اي فصله عنه وأقطعه الشيء أذن له في أخذه .والإقطاع في **الإصطلاح الفقهي:** وهو تسويق الإمام من مال الله شيئاً لمن يراه أهلا لذلك.انظر:محمد الزحيلي ،إحياء الأرض الموات دط، مركز النشر العلمي، السعودية، ص85.

[2] –كمال السيد أبو مصطفى، **جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي**، دط، مؤسسة شباب الجامعة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1996م، ص61.

[3] –الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي، ت914هـ، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب** ، تح : محمد حجي، نشر وزارة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1581م،ج 9،ص 73.

[4]– الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص 112.

وهم الخارجون عليه في جبل نفوسة[1]؛ ففي هذا الاستعمال قال القاضي النعمان:"وعنه أنّه سئل عن الرّجل يعطي الأرض الخراب لايعمرها على أنّ للعامر غلّتها سنين معلومة" قال: "ذلك جائزٌ ولا بأس أن يكون مع ذلك فيها علوج"[2]، وذكر الوسياني أنّه أقطع لهم أرض كثيرة.[3] فيكون الرّستميون قد فعلوا الفعل نفسه في نواحي تيهرت وفي أراضي الموات المحيطة بها.

ومثلهم فعل الفاطيميون، فهم قد أقطعوا الكتّامين والصقالبة إقطاعات عديدة، فعلى أية حالٍ كان يشترط في الإقطاع أن يقوم الإقطاع بتعميرها واستغلالها ولا يلحق ضررًا بمسلمٍ من جرّائه تكون أرض خراجٍ[4].

وكذلك أوجدت أراضي الملك[5] والّتي تظهر الملكية الفردية في بلاد المغرب الأوسط انتقلت إلى صاحبها بالإرث أو بالشّراء أو الإقطاع أو بإحياء موات وغير ذلك وهو حرّ التّصرف فيها حرية شاملة فكان محمد بن جرني في تيهرت ممن يملكون الأراضي الشّاسعة[6] وهنا أشار ابن الصغير إلى تنافس النّاس في البنيان حتّى ابتنى النّاس القصور والضّياع خارج المدينة ".[7]كما

---

[1]– عبد الكريم يوسف جودت، **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9 – 10م)**، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص18.

[2]– أبي حنيفة النعمان بن محمد التميمي، **دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام و القضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله عليه وعليهم أفضل السلام**، تح: أضف بن علي أصغر فيض، دار الأضواء، بيروت، (1411هـ . 1991 م)، مج 2 ص83.

[3]– الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص 352.

[4]– جودت، **الأوضاع الاقتصادية**، المرجع السابق، ص15.

[5] –**الملك:** هو هيئة تعرض للشيء بسبب مايحيط به وينتقل بانتقاله ويسمّى بالجدة وبالقنية أيضا والملك هو الاستيلاء مع القدرة على التصرف، انظر : محمد عمارة، **قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية**، ط1، دار الشروق، القاهره، (1413هـ . 1993م)، ص562.

[6] – جودت، **الأوضاع الاقتصادية**، المرجع السابق، ص16.

[7]– ابن الصغير، المصدر السابق، ص 51.

تنقسم الأراضي الملكية إلى قسمين ملكية عينٍ وملكية منفعةٍ وتسمى ملك ذات الشّيء كملك العقار المنقول من الأموال او الأعيان ولا يقبل الملك في الشّريعة من الأعيان إلا ما كان له منفعة لم يحرّمها الشّارع فما ليس له منفعة كالخشاش من حشرات الأرض أو له منفعة لكنّها محرمة شرعًا كالميتة والخنزير فلا تقبل الملك ولا تعتبر مالًا محرّما [1]وأمّا ملكية المنفعة فهي امتلاك حقّ الانتفاع والاستفادة من الشّيء المملوك فقط، مع المحافظة على عين مايستفاد منه،كسكنى الدّور بالإعارة أو بالإيجارة[2].

ويقصد بمالك الأرض الشّخص أو المحوّل الّذي يرفع ضريبة الأطيان "الأراضي التي يملكها"، وله الحق في الانتفاع بها بزراعتها بصورةٍ مباشرةٍ أو التّصرف فيها بالبيع أو بالإيجار يحتاج[3] المالك أو الشاري أو أصحاب الميراث إلى الاضطلاع على تلك الشروط أو المزايا التّابعة لتلك الملكيات ، خاصة في أحوال النّزاع والخصام بين المتبايعين أو بين الورثة وإذا كان التوارث أو الابتياع هما السّبيل الأكثر شيوعًا لأصحاب الملكيات الخاصة .

فإنّ نوازل أخرى أفادت بوجود طرقٍ أخرى للحيازة التّامة في أريغ ووارغيلان في صحراء المغرب الأوسط على خلافٍ بين الفقهاء والمذهاب في نهاية القرن السّادس الهجري / الثّاني عشر ميلادي.[4]

---

[1]– يحيى أبو المعاطي محمد عباسي، **الملكية الزراعية وآثارها في المغرب والأندلس**، شهادة الدكتوراه، جامعة القاهرة، (1421هـ . 2000م)، ص4.

[2]– الحاج عبد القادر يخلف، **ملكية الأراضي الزراعية في الغرب الإسلامي**، "مجلة العصور الجديدة"– مصنفة ج –مج 9_ع 3نوفمبر، (1441هـ –2019م)، ص76.

[3] –آمنة أبو حجر، **المعجم الجغرافي**، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2009، ص979.

[4] –بشير يزير، **الحركة الاقتصادية في ريف وبادية المغرب الأوسط وآثارها الاجتماعية في العصر الوسيط**، (ق 7– 10هـ.13 –16 م) أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، العلوم في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر 2، (1440–1439 هـ. 2019–2018 م)، ص 52.

فقد أفاد الوسياني في سيره بأنّ المشايخ اجتمعوا وتذاكروا أمر الحيازة فاختاروا قولاً واحدًا فاعتمدوا عليه لكثرة اختلاف العلماء في أمر الحيازة، وقال بعضهم لبعضٍ قد علمتم أنّ أريغ بلد العافية ليس فيها غصبٌ...قال واتّفق رأيهم أجمعين على الحيازة ثلاث سنين في أريغ على ماوصفت عليه من العافية والأمن...[1]

وفي هذا الاستعمال قال الرسول صلى الله عليه وسلم:" من حاز أرضًا وعمّرها عشر سنين، والخصم حاضرٌ لا يغيّر ولاينكر فهي للّذي حازها وعمّرها ، ولاحجّة للخصم فيها".[2]

أمّا عن الأراضي الجماعية فهي تنقسم بدورها إلى ثلاثة أقسامٍ: الأراضي المشاعة، الأراضي الموات و أراضي الغصب.

إنّ الأراضي المشاعة هي الّتي ليست ملك للأحدٍ وبالتّالي يمكن لأي إنسانٍ يسبق إليها أن يتولّى استغلالها والاستفادة منها وهي تشمل جميع الفيافي والقفار والمسارح والمحتطب وغيرها[3] كما أنّها تعتبر أراضي العرش الّتي يستغلها كامل أفراد القبيلة كلٌّ حسب طاقته، ولكن الأسبقية تعطى للمعوزين حتّى يتخلصوا من الفقر والفاقة وإذا كان أحد أبناء القبيلة قادرًا على العمل وهو لا يملك وسائل الإنتاج، فإنّه يشترك مع غيره أويطلب معونة من أقربائه الأغنياء حتّى لا يضطر إلى الاشتغال لدى مالكٍ من قبيلةٍ أخرى، وهو عيبٌ كانت تخشاه القبيلة[4]

وبما أن أرض بلاد المغرب الأوسط شاسعة ، وبأنّ أرض العامر قلّما تزيد عن مسير نصف نهار عن القرية أو المدينة ، فإنّ هذا يعني أنّ أكثر البلاد هي أرضٌ مشاعةٌ، وهذا ما جعلها

[1]– الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص 462.

[2] –أحمد بن سعود السيابي، **المدخل إلى المذهب الإباضي**، المرجع السّابق، ص178.

[3] –جودت ، **الأوضاع الاقتصادية**، المرجع السابق، ص18.

[4]– محمد العربي الزيري، **التجارية الخارجية للشرق الجزائري**، دط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص59.

في معظمها جرداء[1]، وفي هذا المقام ذكر الوسياني بأنّ:" أيّ شيءٍ يحكى عن الشّيخ وارسفلاس بن مهدي في الأرض المشاعة ؟ فقال: أبو يعقوب: إذا اتّفق أهل المشاع على عمارته وغراسته فلهم ذلك، يستنفعون ويبعون ويشتري بعضهم من بعضٍ، فإذا انقطعت العمارة...رجعت كما كانت أوّل مرّةٍ مشاعًا"[2].

وتعتبر ملكية الأرض مشاعًا لجميع أفراد الأسرة ويعيش هؤلاء تحت سقفٍ واحدٍ، يتعاونون في عملهم ويشتركون في تحمّل المسؤولية، وهي أوسع من الرهط الّذي يشمل الأب والأبناء فقط[3].فقد أفاد محمّد فتحة في هذا الخصوص عن الأرض في ملك جماعة مستعملة تعابير مثل حظ شائع في أملاك مشتركة بينهم وبين قومٍ آخرين أو مرعى مشترك أو أرض مشتركة بين أهل موروث أو تنازعوا مع آخرين على جنان...أو أنّ القبائل اجتمعت عليه وحمّلوهم على أن يقسموا ذلك مع ذكر أو أهل بلدٍ بينهم وبين جيرانهم حرب فصالح شيوخ ذلك البلد القوم الّذين حاربوهم على نصف الوادي أو قومٌ بينهم أملاك يتوزعونها ويحرث كلّ واحدٍ منهم أرض على سبيل التّوسع[4] .

أمّا عن الأراضي الموّات[5]فهي عبارةٌ عن الأراضي البور التي يقطعها السّلطان أو ولي الأمر لمن يحييها ويزرعها[6]؛ أي هي الأراضي المعطّلة المهملة من التلول والرّمال وماشبه

---

[1] –جودت، **الأوضاع الاقتصادية**، المرجع السابق، ص18.

[2]– الوسياني، المصدر السابق، ج2، ص130.

[3] –جودت، **الأوضاع الاقتصادية**، المرجع السابق، ص252.

[4]– محمد فتحه، **النوازل الفقهية والمجتمع أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي (من القرن 6إلى 9هـ.15 12م)**، دط، دار البيضاء، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، عين البندق، 1999م، ص 348.

[5]– **الموات: لغة** هو ما لا روحه فيه والموات من الارض : غير العامرة والتي لا مالكها لها وما لا نفع بها أي لم تزرع لانقطاع مائها أو نحوه انظر : محمد عمارة، المرجع السابق، ص571.

[6]– كمال السيد أبو مصطفى، المرجع السّابق، ص 62.

ذلك كالسّبخات والأرض الشعراء (الكثيرة الشّجر)الّتي لاحقّ لأحدٍ فيها، فيقطعها السّلطان لمن يحييها بجهوده ووسائله الخاصة ويزرعها لمصلحة المسلمين على أن يلتزم بدفع أجرةٍ معينةٍ مقابل حقّ الانتفاع بها [1].

وفي هذا الصّدد نجد ابن الصّغير يشير إلى أنّ المسلمين شرعوا في العمارة والبناء وإحياء الموّات"[2]، ممّا يوحي بأنّ الأحياء وقع في مختلف نواحي البلاد، وفي كلّ قريةٍ أو مدينةٍ استحدثت، كما أن التّطور العمراني والتّزايد السّكاني قاضيًا بالتّوسع في إحياء الموّات، كذلك انتقال بعض القبائل الضّاغنة إلى حالة الاستقرار يؤدّي إلى نفس العملية فإنّ موضع أشير كان أرضًا خاليةً ليس فيها أحدٌ من كثرة عيونها وسعة فضائها فحمى زيري بن مناد تلك النّاحية وزرع النّاس فيها [3].

وتعرف الموّات بأنّها كلّ مايعمر من الأبنية، وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم :" من أحيا أرضًا ميتةً فهي له، وليس لعرق ظالم حقٌّ"[4]، وهنا يروي لنا الوسياني أنّ حيازة ملكية الأراضي الموّات تكون بعد استغلال الأرض ثلاث سنين لمستغل الأرض المهملة حيث يعمّرها ما يعمّر، ويبنى ما يبنى، ويهدم ما يهدم، ويحرث ويحصد"[5].

فأراضي الموّات هي تلك الأراضي غير المستغلة زراعيًّا من غير الجنان والمزارع والبساتين والواحات والغابات البريّة أو إقطاعات السلطان أو غيرها من الملكيات الأخرى، لتنحصر في

[1]– حاج عبد القادر يخلف، المرجع السابق، ص81.

[2]– ابن الصغير، المصدر السابق، ص31.

[3]– جودت، **الأوضاع الاقتصادية**، المرجع السابق، ص18.

[4]– أخرجه البخاري.

[5]– الوسياني، المصدر السابق، ج 1، ص462.

المفازات الرّعوية في التّل والهضاب العليا ومجالات الصّحراء والقفر فيما عدا القصور والواحات المعمورة والّتي هي أصلًا بأيدي مالكها[1].

2. النّشاط الزّراعي:

أ. المحاصيل الزّراعية:

شهدت بلاد المغرب الأوسط نشاطًا زراعيًّا واسعًا ويعود الفضل في ذلك إلى وفرة مصادر المياه(من أنهار، عيونٍ، أوديةٍ، مجاري المياه، مياه الأمطار ...)ونشاط رعوي متميز حيث انتشرت البساتين والمزارع وذلك بسبب انشغال الرّستميون بالزّراعة والرّعي وعليه أصبحت بلاد المغرب الأوسط مزدهرةً في شتّى المجالات وعرفت نموًّا عظيماً في حركة الاقتصاد.

وباستقرار الأوضاع السّياسية بقيام الدّولة الرّستميّة سارت عناصر الحياة الاقتصاديّة؛ الزّراعة والصّناعة والتّجارة، في طريقها نحو التّحسّن والازدهار فكان الرّستميون يمتلكون مجالاتٍ ضخمةً من الأراضي الزّراعيّة وفّرتها الوديان ومجاري المياه الكثيرة الّتي تحيط بعاصمتهم تيهرت[2]، ولقد عرفت الدّولة الرّستمية بجغرافيتها المتنوّعة، زراعةً متطورةً ومزدهرةً شملت مختلف أقاليمها ففي منطقة تيهرت المرتفعة حيث الجو البارد وكثرة الأنداد والضّباب والامطار[3]. وهنا ويذكر ابن الصغير" أن تيهرت لمّا استقبلت الأحمال والكراع، بعثت هذه نشاط في المدينة فشرع النّاس في إحياء الموّات وغرس البساتين وإجراء الأنهر واتخاذ الرحاء والمستغلات"[4].

---

[1]– بشير يزير، المرجع السابق، ص70.

[2]– محمد عيسى الحريري، **الدّولة الرّستمية بالمغرب الإسلامي–حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس160–260هـ**، ط3، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ص231.

[3]– إبراهيم بكير بحاز، **الدّولة الرّستمية 160–296هـ/777–909م**، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية،ط2، جمعية التّراث، غرداية، 1993م، ص144.

[4]– ابن الصغير، المصدر السابق، ص 31.

فقد ساعدت الأنهار في بعث النّشاط الزّراعي والاشتغال به ممّا دفع الفلاحين إلى إحياء الموّات وعدم الاكتفاء فقط بالأراضي الزّراعيّة المهيّأة وشهدت بذلك منطقة العاصمة الرّستمية نشاطًا زراعيًّا مكثّفًا يتّفق كلّ الجغرافيين تقريبًا على تصويره[1]، ففي هذا الخصوص قال اليعقوبي: "إذ لم يجدب زرع البلد قطٌّ إلاّ في حالات الرّيح أو البرد الشّديدين"[2]، ويذكر الإصطخري" أنّ كورة تيهرت خصبةٌ واسعة البريّة والزّروع والمياه "[3]،كما يشير ابن حوقل إلى أشجار وبساتين تيهرت ويقول:" بأنّها تنتج ضروباً من الغلّات دون أن يحدّدها"[4]، أمّا المقدسي فيقول:"بأنّ تيهرت بلخ المغرب قد أحدق بها الأنهار والتفت بها الأشجار وغابة في البساتين ونبعت حولها الأعين"[5].

ولعلّ البكري هو أحسن من وصف زراعة تيهرت وأحوازها إذ يقول :"إنّ بها جميع الثّمار وسفرجلها يفوق سفرجل الأفاق حسنًا وطعمًا ومشمًّا وسفرجلها يسمّى بالفارس[6] والحقيقة أنّ منطقة تيهرت لم تكن فقط مقسرة على زراعة الحبوب خاصة، لكترة مياهها وبرودة مناخها ووقوعها قرب التّلول الصّالحة لزراعة تلك الغلّة[7].

ويذكر الحميري" أنّ تيهرت في جبل سفح جبل يسمّى "قزول" وعلى نهرٍ كبيرٍ يأتيها من ناحية الغرب ولها نهر آخر...ولها ثلاثة أبوابٍ باب الصّفا وهو باب الأندلس وباب المنازل وباب

[1] – بحاز، المرجع السابق، ص144.

[2]– أحمد بن ابي يعقوب بن واضح اليعقوبي، **كتاب البلدان**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1988م، ص115.

[3]– الإصطخري أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، ت بعد (340هـ /951م)، **المسالك والممالك**، تح: محمد جابر عبد العالي الحيني، دار القلم، القاهره، 1381هـ /1961م، ص39.

[4]– ابن حوقل أبو القاسم النصيبي، **صورة الأرض**، مطبعة بريل، لدن، 1928م، ص87.

[5]– المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، دط، مكتبة مديوني، القاهره، ص228.

[6]– البكري عبد الله بن عبد العزيز، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، دار الكتاب الإسلامي، القاهره، ص67.

[7]– بحاز، المرجع السابق، ص145.

المطاحن"[1] فلا معنى لهذه المطاحن والأرحاء إلا وجود زراعةٍ نشيطةٍ للحبوب[2]، وفي هذا المقام نجد الوسياني قد ساق لنا رواية أبي مرداس مهاصر، أحد مشائخ جبل نفوسة الّذي كان قد تعوّد الذّهاب إلى تيهرت في فصل الحصاد وكانت عادته فيها أنّه إذا حصد النّاس زروعهم ولقط اللّقاطون السّنابل...فيلقط نفقة سنةٍ لأنّ ذلك متروك أي كثرت في منطقة تيهرت الحقول المزروعة بالحبوب خاصة منها القمح[3].

وكان في تيهرت أيضًا، وعلى بعد أميالٍ منها يزرع النّخيل[4]، إذ يذكر البكري" أنّ فيها جميع الثّمار وسفرجلها يفوق سفرجلها الآفاق حسنًا وطعمًا ومشمًّا وسفرجلها يسمّى بالفارس وهي شديدة البرد كثيرة الغيوم والثّلج"[5]، وفي هذا الخصوص ذكر القزويني " أن أعرابيًّا دخلها، وتأذّى من شدة بردها فخرج منها إلى أرض السودان فأتى عليه يوم شديد الحرّ فنظر إلى الشّمس راكدةً على قمم رؤوسهم، فقال مشبرًا إلى الشمس والله لإن عززت في هذا المكان لطالما رأيتك ذليلةً بتيهرت[6].

إنّ الجانب الشّرقيّ من الدّولة وهو بلاد نفوسة وما كان خارجًا عن مدينة طرابلس ، فإنّ الزّراعة هناك لاتقل عماّ هي في غرب الدّولة [7]إذ يقول اليعقوبي :"ومن طرابلس إلى أرض

[1]– الحميري، المصدر السابق، ص126.

[2]– بحاز ، المرجع السابق، ص148.

[3]– الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص259.

[4] – بحاز، المرجع السابق، ص145.

[5]– البكري، المصدر السابق،ص67.

[6]– زكرياء بن محمد بن محمود القزويني، **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، ص169.

[7] – بحاز، المرجع السابق، ص147.

نفوسة وهم قوم عجم الألسن إباضية كلّهم لهم رئيس يقال له إلياس لايخرجون عن أمره،ومنازلهم في جبال طرابلس في ضياع وقرى ومزارع وعمارات كثيرةٍ[1].

فاشتهرت نفوسة عند ابن حوقل بمدينة شروس في وسط الجبل وفيها مياه جارية وكرومٌ وأعنابٌ طيبةٌ وتينٌ عزيزٌ أكثر زروعهم الشّعير وإيّاه يأكلون وإذا خُبز كان أطيب طعمًا من خبز الحنطة ولشعيرهم لذة ليس الخبز من أخباز الأرض لأنّه ينفرد بلذةٍ ليست في خبزٍ إلاّ ما كان من سميدٍ[2]. ويذكر البكري:" أن شروس أم قرى جبل نفوسة وهي كبيرة آهلة جليلة أهلها جليلة فيها النّخيل والزّيتون الكثير والفواكه ويجتمع فيها حوله من القبائل[3].

فمن خلال هذه الإشارت بالإضافة إلى المصادر الإباضية، وما تذكره في هذا الصّدد نستطيع أن نكوّن فكرةً ولو بسيطة عن الزّراعة والرّعي بالجبل والّتي أدركنا من خلالها اشتهار الجبل بغراسة أنواعٍ مختلفةٍ من المغروسات مثل الكروم والأعناب والتّين والزّيتون وأشجار النّخيل بمختلف أنواعها:الكركاني والمغراسي...ويخزن إنتاجه من العامٍ إلى العامٍ وفي قللٍ كبيرةٍ وأشجار الفواكه المتنوّعة بالإضافة إلى زراعة الحبوب وأهمّها القمح والشعير.[4]

رغم كلّ هته الخيرات المتواجدة في هذا الجبل إلاّ أنّه قد وقعت مجاعةٌ بجبل نفوسة وفي هذا المقام أفادنا الوسياني بقوله: "وقعت في جبل نفوسة، وجدبا وقحط حتّى أضرّ النّاس ومات جوعًا، وتصوّح النّبات فصار هشيمًا".[5]

---

[1]– اليعقوبي، المصدر السابق، ص105.

[2] – ابن حوقل، المصدر السابق، ص92.

[3] – البكري، المصدر السابق، ص9.

[4] – محمد حسين كوردي، **الحياة العلمية في جبل نفوسة وتأثيراتها على بلاد السودان الغربي خلال القرون (2 –8 هـ /8 –14 م)**، ط1، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2008م، ص60.

[5]– الوسياني، المصدر السابق، ج2، ص543.

أمّا ما يدل على اهتمام النّاس بالأرض وتنافسهم على زراعتها في هذه المنطقة الشّرقيّة من الدّولة الرّستميّة[1] ما يرويه الوسياني في سيره:"...حرث أرضًا فلمّا حصد زرعه ودرسه وجعله في التّلاليس إذا برجلٍ وقف الشيخ وولده فقال: تعلم يارب ما أذنّ لمن حرث ولا أعطينا، ولا بعنا، ولا هبنا، وإنّما هي مالنا فقال أبو مامد لولده فرغ الطّعام ففرغاه من التّلاليس ومضوا.[2]

كذلك نشطت الزّراعة بالجهة الجنوبيّة للدّولة الرّسمية والمتمثلة في الصحراء الواسعة واشتهرت المنطقة الصّحراوية بشكلٍ كبيرٍ بزراعة النّخيل كونها تقاوم مناخ الصّحراء الشّديد صيفًا وشتاءً[3]، ومن الوحات الّتي كانت تابعةً للدولة الرستميّة في تلك الصحراء الكبرى وارجلان، بلاد الجريد، وقسطيلية في الجنوب التّونسي وواحات وادي أريغ وأسوف وغيرها في شرق البلاد[4]، حيث عاش الوسياني بين الجريد وأريغ ووارجيلان. فالمنطقة كلّها صحراويّة قاريّة، بعضها الآن في القطر التّونسي والآخر في القطر الجزائري[5].

أمّا وارجلان قبلة بجاية بلدٌ واحدٌ مستجر العمران كثير النّخل وتشتمل كلّها على النّخل والأنهار والمدن والقرى والمزارع[6]، وقد أشار مؤلفٌ مجهولٌ في كتابه الاستبصار في عجائب الأمصار إلى أنّ وارجيلان هو بلدٌ خصيبٌ كثير النّخل والبساتين وفيه سبع مدنٍ مصورةٍ...وهي

---

[1] –بحاز، المرجع السابق، ص150.

[2]– الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص252.

[3]– فتيحة قرواز، **الحياة الحضارية في الجزائر الرّستميّة 160–296هـ/777–909م**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في تاريخ وحضارة المغرب الأوسط، جامعة حسيبة بن بوعلي، شرف، 2012م، ص141.

[4]– بحاز، المرجع السابق، ص152

[5]– الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص47.

[6] –عبد الرحمن بن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، مرا:سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (1431هـ–2000م)، ج 6، ص132.

بلادٌ كثيرة الزّرع والضّرع والبساتين، كثيرة المياه[1]. ويتجسد هذا من خلال قول الوسياني:"...وصل ذات مرّةٍ وارجلان ، فدخل جنان من جنّات أبي صالح...يقطع تمره...لكثرة ذلك مع كثرة جنات[2].

كمّا كان سكان وارجلان يزرعون من الحبوب، الحنطة خاصةً وتتخلل تلك الزّروع أشجار النّخيل وهي الطّريقة المستعملة في أغلب الواحات وقد علم سكانها من الإباضية قساوة الطّبيعة الصّحراويّة فحوّل تلك البقعة إلى جنّاتٍ وغاباتٍ متواصلةٍ من النّخيل وبنوا العديد من القرى[3]. أمّا بلاد الجريد وتضمّ العديد من المدن والقرى مثل قسطيلية، نفطة، الحامة، توزر ونفزاوة فإنّها كانت ولا تزال بلاد النّخيل وإنّما سمّيت بالجريد لكثرة نخيلها [4]، وهذه البلاد شديدة الحرارة كثيرة الجفاف لا تنبت فيها حبوب وإنّما تنتج كميةً وافرةً من التّمر الجيّد الممتاز الّذي يحمل إلى شاطئ تونس بكامله[5] ويتضح من هذا أنّ الجريد عاشت في عصورٍ متقلّبةٍ أحوالاً متباينةً بين السّعادة والأمن والرّخاء لما تتمتع به من خيراتٍ، وزروعٍ ونخلٍ طلعها هضيم.[6]

كما أنّ منطقة الجريد كانت أشجارها وغابتها ملتفة ولا ينقطع ظلّها [7]ثمّ أنّها لا تنتج التّمور فقط، وإنّما هي أيضًا منطقة بساتينٍ، يزرع فيها الشّعير وقليل الحنطة وشيءٌ من الزّيتون

[1] –مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص224.

[2]–الوسياني، المصدر السابق،ج 2، ص555.

[3]– بحاز، المرجع السابق، ص152.

[4]– نفسه، ص152.

[5]– حسن الوزان، ص142.

[6]– الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص 114.

[7]– نفسه، ج1، ص47.

والفواكه ويبدو أنّ غير هذه المنتجات الزراعية يجلب إليها من المدن المجاورة لها خاصةً الطّعام أو الحنطة[1]، لذلك فإنّ سعره بها غالٍ في أغلب الأوقات مثلما يذكر الحميري.[2]

ويفيدنا صاحب الاستبصار بالكيفية الّتي تتمّ بها تسميد الأرض حتّى تعطي مردودًا أكبر خاصة في توزر ويقول بأنّ أهلها كانوا يحتفظون بزبل مراحضهم يجفّفونه من أجل تدمين أرضهم لأنّها في غاية الجفوف لقربها من الصّحراء[3]، وهذا مايدلّ على الاهتمام الكبير بالأرض واستصلاحها كما يدلّ على اعتماد النّاس الزّراعة فهي أساس الحياة.[4] كما أن بلاد أسوف وآريغ وواحاته فلم تذكر المصادر المتناولة عن المنتوجات الّتي كانت بها لعدم زيارتهم للمنطقة[5] وذلك من خلال ماقاله البكري:"لا يعرف وراء قسطيلية عمران ولا حيوان...وإنّما هي رمالٌ وأرضون سوّاخةٌ[6].

ونجد إشارة إلى بلد آسوف في الإستبصار إذ يذكر أنّ:" آخر بلاد الجريد مدينة درجين وبالقرب منها بلد آسوف ولا يعرف خلفه عمران ولا حيوان إلّا جبال من رملٍ" [7]ويلوّح لنا أنّ الإباضية في العهد الرّستمي وبعد هم الّذين أحيو تلك الأراضي الصّحراويّة وبعثوا فيها الحياة ومارسوا زراعة النّخيل خاصةً بعدما حفروا الآبار وأجرو المياه.[8]

---

[1]– بحاز، المرجع السابق، ص.ص153 .152.

[2]– الحميري، المصدر السابق، ص144.

[3]–مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص159.

[4]– بحاز، المرجع السابق، ص153.

[5]–فتيحة قرواز، المرجع السابق،ص142.

[6]– البكري، المصدر السابق، ص48.

[7]– مؤلف مجهول، المصدر السابق،ص159.

[8] –بحاز، المرجع السابق، ص154.

كما نجد الوسياني يشير إشارةً واضحةً وجليّةً لهذا في سيره:"إذ يذكر عن الإمام عبد الوهاب رضي الله عنه كتب إلى نفوسة الرّاحلين من الجبل كتابًا وهم الخارجون عنه وكانوا في ألف رجلٍ ، وخاف ممّا يعتريهم من التّغيير والتّشتيت، فكتب إليهم كتابًا مع عامله عليهم أقطع لهم أرضًا كثيرةً...وقال لهم اغرسوا فيه بأمرنا وأحرثوا فيه بإذننا[1].وهذا يبدو لنا جليًّا أن بلاد آريغ تعدّ مركزًا من مراكز التّجارة مع بلاد السّودان ومرحلة من مراحلها الأساسية كونها محطة رئيسية للمسلك الرّابط ما بين تيهرت ووارجلان.[2]

وبمجمل القول تعدّ منطقة تيهرت أرضًا زراعيةً، اشتهرت بزراعة الحبوب، ومزروعاتٍ مختلفةٍ و متنوّعةٍ أي أنّها تسمح بإيجاد الحياة المستقرة ويساعد هذا وجود عدّة أنهارٍ.[3]

ب. مصادر المياه عند الإباضية:

كانت البلاد الرّستميّة تمتلك روافد الأنهار والأراضي الزّراعية الفسيحة والوديان وقد اعتنى الرّستميون بشقّ القنوات الّتي توصل المياه إلى أقاصي الدّولة[4] فالمعروف أنّ تيهرت تقع بين نهرين عظيمين نهر مينة ونهر آخر يجري إليها من عيون تتجمع تسمّى "تاتش" وهذان النّهران يصبّان في وادي ينبع من عينٍ بجبل سوفحج ويتّجه هذا الوادي نحو الشّرق فيلتقي بوادي الفرعة ووادي الوحش[5]، ويؤكّد البكري بقوله:" أنّها على نهرٍ يأتيها من جهة القبلة تسمّى مينة

[1] –الوسياني، المصدر السابق،ج1، ص352.

[2] – أحلام بو سلام، يوسف عابد، **دور إباضية المغرب الأوسط في تنشيط التجارة الصحراوية خلال العصر الوسيط، الحوار المتوسطي**، المجلد 11، العدد 1، الجزائر، مارس 2020م، ص123.

[3] – الحريري، المرجع السابق، ص 344.

[4] –محمد كمال شبانة، **الدويلات الإسلامية في المغرب**، ط1، دار العالم الإسلامي، القاهرة،2008م .1429هـ، ص119.

[5] –الحريري، المرجع السابق، ص231.

وهو في قبليها ونهرآخر يجري من عيون تجتمع تسمّى تاتش" [1]ولعلّ من أشهر أنهار المغرب الأوسط نذكر:

نهر الشّلف: وعليه قرى وعمارة يفيض كما يفيض نيل مصر [2]والّذي ينبع من جبل وانشريس ويصبّ ماؤه في البحر الأبيض المتوسط إلى الشّرق من مدينة مستغانم. نهر سيرات: ويجري هذا النّهر بالقرب من قلعة هوّارة ويسقي هذا النّهر فحص سيرات الّذي يبلغ طوله أربعين ميلاً.[3] نهر مينة: ونهر مينة كبيرٌ بعض الشّيء ينحدر من نفس الجبال ثمّ يمرّ في سهولٍ وعرةٍ قاحلةٍ ويجري نحو الشّمال إلى البحر المتوسط قرب آرزيو.[4]

وإلى جانب الأنهار هناك وديان صغيرة يأتيها الماء من العيون أو من القمم الجبال ونذكر منها : نهر تاتش وعليه يعتمد أهل تيهرت في شربهم وريّهم بساتينهم ونهر تامسن وقد شكلّت هذه الأنهار مصدر هامّ من مصادر رخاء الدّولة الرّستميّة وازدهارها اقتصاديًّا[5].

وكانت العيون منتشرةً في أنحاء البلاد، و يمكن أن تستعمل في الزّراعة كما أنّها تزوّد الوديان بالمياه خاصّة صيفًا[6] ومنها تلك الّتي ذكرها المقدسي حيث أشار" أنّ تيهرت تنبعث حولها الأعين"[7] وأضاف الإدريسي " لها مياه متدفقة وعيون جارية تدخل أكثر ديارهم ويتصرّفون

[1] –البكري، المصدر السابق، ص66.

[2]– اليعقوبي، المصدر السابق، ص115.

[3] –الحريري، المرجع السابق، ص.ص.16. 15

[4]–مارمول كاريخال، **إفريقيا**، تر:محمد حجي وآخرون، دار النشر المعرفة، الرباط، المملكة المغربية،1989م، ص38.

[5] –الحريري، المرجع السابق، ص16.

[6] –جودت، **الأوضاع الاقتصادية**، المرجع السابق، ص60.

[7]– المقدسي، المصدر السابق، ص228.

بها"[1] وتوجد بها العديد من العيون المائية: عين القبو، عين الغراب، عين البيضاء وعين منصور بعضها جفّ والبعض الآخر لازال إلى الآن[2].

كما كانت الآبار من المصادر الهامّة للرّيّ، وهي إمّا آبار إرتوازية أو آبار تعتمد على مياه الأمطار تسيح إليها من الطّرق ومن على سطوح المنازل.[3]وقد كانت تيهرت غنية بالمياه السّطحية والجوفية وهنا يشير الوسياني بقوله:" فلولا المياه الجوفية الّتي تستغل حاليًا بحفر الآبار العميقة والينابيع الفوّارة لما قامت في المنطقة زراعةٌ واسعةٌ ولما غرست فيها أشجارٌ مثمرةٌ ولا نخيل"[4] لذلك اعتنى الرّستميون كثيراً بكمّيّات المياه الوفيرة المتدفقة إلى عاصمتهم فشقّوا القنوات الّتي توصلها إلى بساتينهم ومزارعهم ومنازلهم.[5]

ولقد عاش الوسياني في منطقة صحراويّة مناخها حارّ صيفًا، بارد شتاءً والأمطار فيها قليلة[6]، ولقد زخر ت المناطق المحيطة بتيهرت بوفرة المياه والعيون والآبار والينابيع والأودية.

ففي جنوب الدّولة الرّستمية المتمثلة في الصحراء الواسعة، نجد وارجلان وبلاد الجريد وآريغ وأسوف قد شكّلوا شريطًا عموديًا في الصّحراء الكبرى الشرّقية على الحدود الجزائرية الليبية التّونسية حاليًا[7]. أمّا عن وارجلان فهي المنطقة الّتي تميل نحو الشّرق، ممّا يساعدها على

---

[1]– الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، دط، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1455م، ص256.

[2]– زيان مكي، **النشاط الفلاحي بمنطقة تيهرت خلال العهد الرستمي (160-296هـ.770-909م)**، "مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا"، العدد 2، أفريل 2002م،ص186.

[3] –جودت، **الأوضاع الاقتصادية**، المرجع السابق،ص60.

[4]– الوسياني، المصدر السابق، ج 1، ص47.

[5]– الحريري، المرجع السابق، ص231.

[6]– الوسياني، المصدر السابق،ج1، ص47.

[7] –بحاز، المرجع السابق، ص.ص152. 151

استقبال ترسبات مياه مينة ووادي إيغارغار اللّذان ينبوعان من الجنوب الشّرقي.[1] وفي هذا الصّدد قال الوسياني:"فإنّنا نجد أنّ التّضاريس الّتي حتّت بالأنهار العظيمة، مثل وادي إيغارغار الّذي يشقّ طريقه من جنوب الصّحراء الكبرى إلى أن يصل قرب تقرت ووادي مية الّذي يصبّ مياهه بوارجلان"[2]، ومن العناصر الّتي ساهمت في تميز وارجلان بتوفرها على مخزونٍ هائلٍ من المياه الجوفيه رافدان آخران هما: واد مزاب، واد النّسا وهما ينبوعان من الشرق أيضًا[3].

فتعتبر وارجلان البداية الشّرقية لواحات الجزائر، وتميزت بوفرت المياه الباطنية، الّتي توجد في أعماق بعيدة إلاّ أنّها تتدفق عند حفرها بكمّيّات وفيرةٍ[4]. مثل بئر سدراتة الّذي يبعد عنها بحوالي أربع عشرة كلومتر[5] حيث حفر على عمق ستون كلومتر أي كانت عميقة المهوى[6]،واسعة هذه البئر أطلق عليها اسم بحر الطوفان وربما كانت هذه العين هي الّتي عرفت باسم عين الصفا والّتي تشير إليها المصادر بأنّها من أهمّ عيون منطقة وارجلان[7].

ولها عدّة مصارف، مصرف أولاد إبراهيم بن إسماعيل، مصرف لأولاد عيسى بن أحمد،مصرف لأولاد ابن الشيخ.[8]

---

[1]– إلياس حاج عيسى، **مصادر المياه والنشاط الفلاحي في واحات المغرب الأوسط" وارجلان أنموذجا"**، ص98.

[2]– الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص50.

[3] –إلياس حاج عيسى، المرجع السابق، ص98.

[4]– الهادي المبروك الدالي، **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر**، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ص299.

[5]– إلياس حاج عيسى، المرجع السابق، ص.ص99.100

[6]– الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص89.

[7]– إلياس حاج عيسى، المرجع السابق، ص100.

[8]– الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص90.

وبهذا يمكن القول أن عين الصفا تدلّ دلالةً واضحةً على كثرت المياه في تلك المنطقة ولم تكن عين الصّفا وحدها النّبع الّذي يسقي منطقة وارجلان، بل كان حولها أكثر من ألف عينٍ فوّارةٍ ومنها عين القبائل بناحية يفرن، وعين الحوّاس بناحية نقوصة[1]. ومصارفها ثلاثة هي الأخرى مصرف أولاد عيسى بن إبراهيم، مصرف أولاد عيسى بن نوح، ومصرف أولاد عيسى بن سليمان.[2]

كما أن توزر هي العاصمة السّنية لبلاد الجريد الّتي بناها الرّومان في صحراء نوميديا على جدول ماء صغير، يأتي من بعض الجبال من جهةالجنوب[3]، ويسقى توزر ثلاثة أنهارٍ وتنقسم هذه المياه بعد اجتماعها بموضعٍ يسمّى واد الجمال[4] إذ يقول عنها صالح بابجيه:" ينقسم كلّ نهرٍ من هذه الأنهار على ستّة جداول وتتشعّب من تلك الجداول سواقٍ كثيرةٌ تجري في قنوات مبنية بالصّخر على قسمة عدلٍ لا يزيد بعضها عن بعضها شيء كلّ ساقيةٍ سعتة شبرين[5].

وينوب لكلّ صاحب مزرعة دولة للسّقي، وهنا يأتي دور الفلاحين المهرة، وأصحاب فن تقسيم المياه؛ حتّى لا يفضي التّقسيم العشوائي إلى منازعةٍ صعبةٍ، علمًا بأنّ الماء في الصّحراء عصب الحياة حيث استحدثوا مايعوّض السّاعة الآن لمعرفة مدّة كلّ نوبةٍ، وذلك بأن عمدوا إلى صنع جرار مثقوبةٍ من الأسفل[6]، وقد اهتمّ أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر بحريم

[1]– الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص ص 47 –48

[2]– إلياس حاج عيسى، المرجع السابق، ص100.

[3]– حسن الوزان، المصدر السابق، ص142.

[4]– الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص89.

[5]– صالح بابجيه، المرجع السّابق ، ص9.

[6]– الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص89.

السّواقي في كتابه القسمة وأصول الأرضين،كما اهتمّ بعده بعض العلماء أيضًا بتقسيم المياه، ومنهم ابن الشّباط الّذي قسّم نهر توزر بدقةٍ متناهيةٍ[1].

كما قام الرّستميون بإحياء كلٍّ من آريغ وآسوف فأجرو المياه وحفروا الآبار[2] هذا إن دلّ عن شيءٍ فهو يدلّ على المخزون الهائل من الماء المضغوط الّذي يحتاج إلى من يثقب الغطاء الصّلب كي ينبجس فيفور وقد يعجّل الحفارين بغزارته.[3]

وبمجمل القول كانت منطقة تيهرت ألطف جوًّا ممّا هي عليه الآن، والآبار تفور بالمياه ومخزون الماء وفير يأمن الانتقال شرقا وغربًا وشمالاً وجنوبًا.[4]

3. النشاط الرعوي:

تقع تيهرت في منطقة غنية اقتصاديًّا فهي تشتهر بمراعيها الواسعة، وثروتها الزّراعية المتنوّعة ويرجع ذلك لكثرة مصادر المياه وتنوّعها في المنطقة[5]، فقد كانت تربية الماشية منتشرة بشكلٍ واسعٍ وكبيرٍ في الدّولة الرّستمية وذلك راجع إلى وفرة المراعي الصّالحة وكذلك الاهتمام الكبير الّذي حضي به هذا النّشاط.[6]

وقد تحدّث ابن حوقل عن الغنى الاقتصادي الّذي تتمتّع بيه هذه المنطقة[7] فقال:"هي أحد معادن الدّواب والماشية والغنمي والبغال والبراذين الفراهية ويكثر عندهم العسل وضروب

---

[1] – الوسياني، المصدر السابق، ج1، ، ص91.

[2] –بحاز، المرجع السابق، ص154.

[3]– الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص49.

[4]– نفسه، ج1، ص51.

[5]– محمد زينهم محمد غرب، **قيام وتطور الدولة الرستمية في المغرب**، ط1، دار العالم العربي، القاهرة، 1434هـ.2013م، ص 79.

[6]– فتيحة قرواز، المرجع السابق، ص146.

[7] –نفسه، ص146.

الغلّات"[1] ولعلّ مجموع هذه الحيونات نذكر :الخيول، البغال، الأغنام، الأبقار، الإبل وكذا تربية النّحل نظرًا لأهميته في علاج بعض الأمراض[2].وتجدر الإشارة إلى توفر الأغنام في تيهرت حيث ذكر الوسياني "أنّه كان أبالي كثير المال من الحيوان وغيره فكان يجعل لهم على القصعة شاةً للعشاء، وشاةً للغداء".[3]

كما كانت الدّولة الرّستمية تموج بالمواشي والخيول[4] ففي هذا المقام قال الوسياني:"وعنده رعائل خيل فيها تسعون فرسًا"[5]، وما يؤكّد كذلك على وجود ثروة حيوانية ماقاله الحميري"وبها البقر والغنم كثير جدًّا"[6] وأضاف عليه الوسياني بقوله :"فدفع لهم ثلاث مائة بقرة".[7]كما ترتبط تربية المواشي ارتباطًا وثيقًا بالنّشاط الفلاحي[8] فقد تحدّث عنها صاحب الاستبصار"كثيرة الغنم والماشية طيبة المراعي ومنها تجلب الأغنام إلى بلاد المغرب وبلاد الأندلس لرخسها وطيب لحومها ".[9]

[1] –ابن حوقل، المصدر السابق، ص86.

[2]– فطيمة مطهري، **مدينة تيهرت الرّستميّة – دراسة تاريخية حضارية القرن 2-3هـ/8-9م**، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبي بكر بالقايد، تلمسان، 2010م، ص 153.

[3]– الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص544.

[4] –فطيمة مطهري، **مدينة تيهرت الرّستميّة** ، المرجع السابق، ص 154.

[5]– الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص588.

[6]– الحميري، المصدر السابق، ص126.

[7]– الوسياني، المصدر السابق، ج1، ص588.

[8]– عبد الحميد حسن حمودة، **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، ط1، الدار الثقافة للنشر، القاهره، 2017م ، ص337.

[9]– مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص179.

كما اهتمّ الرّستميون بتربية الحيوان وذلك لما لها من منافع عديدةٍ [1] حيث **قَالَ تَعَالَىٰ**:

﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ۝٥﴾ [2]

فكانت جلودها تستعمل في صانعة القرب، توضع تحت المطحنة وغير ذلك ويستفاد من حليبها ولبنها ويصنعون الجبن ويستخرجون الزّبدة[3]، وفي هذا المقام قال الوسياني:"منح الغنم كلّها لمن يحلبها حتّى انصرم لبنها.[4]

واستعملت الحيوانات للحمل،النّقل، الرّكوب وفي الحرب وتعتبر أيضاً مالاً كالمهر مثلاً[5] فقد أشار الوسياني بقوله: "وله فرس عتيق وعليه حجة، وعليه سافر إلى تدمكت قيمته مائة وخمسون دينار"[6]فمن خلال هذا النّصّ يتبادر إلى أذهاننا أنّه فعلاً كانت لتربية المواشي منافع كثيرة. وعلى أيّة حالٍ، فإنّ الرّعي ينقسم إلى نوعين :الرّعي المختلط بمناطق الزّراعة والرّعي الشّبه الصّحراويّ، ففي الحالة الأولى عادةً مايكون صاحب الماشية هو المزارع أو صاحب الأرض بينما في الحالة الثّانية لا يتعاطى صاحب الماشية مهنةً غير الرّعي.[7]

وعليه نستنتج من هذه النّصوص أنّ الدّولة الرّستمية سادت بيها تربية المواشي نتيجة وجود المراعي الواسعة في السّهول العليا والجبال والتّلال[8]، فكان الرّعي هو الحرفة السّائدة بين

---

[1]– جودت، **الأوضاع الاقتصادية** ،المرجع السابق، ص65.

[2]- القرآن الكريم، سورة النحل، الآية 5.

[3] – جودت، **الأوضاع الاقتصادية**، المرجع السابق، ص65.

[4]– الوسياني ، المصدر السابق، ج2، ص584.

[5]– فطيمة مطهري، **مدينة تيهرت الرّستميّة** ، المرجع السابق، ص153.

[6]– الوسياني، المصدر السابق، ج 2، ص553.

[7]– عز الدين أحمد موسى، **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس هجري**، ط 1، دار الشروق، القاهرة، 1403هـ– 1983م ، ص198.

[8] – لخضاري، لوناس، المرجع السابق، ص31.

السّكان[1] أمّا في المناطق الصّحراوية فالجمل هو أهمّ حيوانٍ في تلك الربّوع الشّاسعة إلى جانب الأغنام والماعز ، إذن كان الرعي هو النّشاط الأساسي للسّكان الرّستميين.[2]

[1]– فتيحة قرواز، المرجع السابق، ص145.

[2] – لخضاري ، لوناس، المرجع السابق، ص31.

المبحث الثالث: النشاط الحرفي والتجاري من خلال كتاب سير الوسياني.

1. أنواع الصناعات والحرف.
2. النشاط التجاري من خلال كتاب السير.
3. الجانب المالي .

1- أنواع الصّناعات والحرف:

اشتهرت الدّولة الرّستميّة بمختلف الصّناعات الحرفيّة، والّتي كانت تعتبر بمثابة النّشاط الأساسيّ في المجتمع الرّستميّ، فتنوّعت وتعدّدت وتفرّعت إلى: الصّناعات الزّراعيّة، صناعة الجلود، صناعة النّسيج، صناعة الخشب وصناعة الأواني الفخّاريّة.

أ- الصّناعة الزّراعيّة:

والّتي تتمثّل في معاصر الزّيتون، حيث كانت هذه الشّجرة موجودة بكثرة في بلاد المغرب[1]، فانتشرت صناعة زيت الزّيتون في كلّ من تيهرت، جبل نفوسة وجربة، ويتجلّى ذلك من خلال قول أبي مهاصر في رواياته: "وذكر أنّ رجلا توفّي في جبل نفوسة،واستخلف على ولد له رجلا، فلمّا جاء وقت خرط الزّيتون وصرامة، فقام الخليفة فباع غلّة زيتون اليتيم بأربعة دنانير، فسمع بذلك أبو مهاصر، فقام إلى المشتري فطرده، فولي بنفسه القيام على غلّة زيتون اليتيم، فأخذ لها الأجراء، وأخرج نفقة اليتيم سنة، وباع البقيّة باثني عشر دينارا". [2]أمّا عن العاملين في معاصر الزّيتون، فكان أغلبهم من العبيد السّودانيّين،والّذين كانوا يشتغلون في صناعة الحبوب بمطاحن القمح الّتي كانت على ضفاف الأنهار المتواجدة بالدّولة، بحيث أقبل عليها العديد من الوفود.[3]

كذلك نجد صناعة السّميد في الدّولة الرّستميّة، وذلك لكثرة الحبوب، وهذا ما نصّت عليه المصادر الجغرافيّة، ومنه يقول الحميريّ: "... ولها ثلاثة أبواب، باب الصّفا وهو باب الأندلس، وباب المنازل وباب المطاحن، وهي شديدة البرد كثيرة الغيوم والثّلج".[4]

---

[1]- حسن حمّودة، المرجع السّابق، ص338.

[2]- الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، ص266.

[3]- ابن الصّغير، المصدر السّابق، ص ص31- 32.

[4]- لحميريّ، المصدر السّابق، ص126.

ب-صناعة الجلود:

لقد تميّزت تيهرت بكثرة الدّوابّ، والّتي بفضلها تمّ تطوير الصّناعة، وهذا ما أشار إليه ابن حوقل في قوله: "ولمّا كانت تيهرت إحدى معادن الدّوابّ والماشية والبراذين الفراهية،فمن بين أهمّ المنتوجات نجد صناعة السروج والأغطية والأفرشة وصناعة النّعال"[1]، وصناعة الدّباغة ضروريّة تحويليّة، حيث أنّها تعتمد جلود الماشية، وبطرق خاصّة يعرفها أهل الحرفة،يحوّل الجلد إلى قطعة صالحة لصناعة مختلف الضّروريّات مثل: أدوات حفظ الموادّ السّائلة كالحليب والماء والسّمن، أو حفظ التّمور وغيرها.[2]

وتستعمل الجلود في صناعة الحصير، وهنا يشير ابن الصّغير بقوله: "... فوجدوا رجلا جالسا على حصير فوقه جلد وليس في بيته شيء سوى وسادته الّتي ينام عليها وسيفه ورمحه وفرس مربوط في ناحية من داره".[3]

كما نعلم أنّ البربر قد برعوا في صناعة الجلود منذ عصورهم القديمة[4]، ويؤكّد هذا أبو الرّبيع بقوله: "إنّ يونس بن موسى بن أبي عمران بلغ في المال الكثرة، وجاءته قافلة يوما تمتاز تمرا، فاشتروها ورموا ما عندهم من الخروق الّتي صرّوا فيها المال فأخذها وضمّها وصنع منها بردعة وبلغ الغنى".[5]

---

[1]- ابن حوقل، المصدر السّابق، ص86.

[2]- بحّاز، المرجع السّابق، ص167.

[3]- ابن الصّغير، المصدر السّابق، ص29.

[4]- بحّاز، المرجع السّابق، ص166.

[5]- الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج2، ص237.

ج- صناعة النّسيج:

وشملت صناعة الصّوف والكتّان والحرير، فهي عبارة عن نشاط صناعيّ نسيجيّ غزليّ يعتمد على أدوات خاصّة مثل المناسج، المغازل، الأنوال وغيرها من آلات الغزل الّتي كان الحرفيّون يصنعونها ويوفّرونها لأصحابها.[1]

اشتهرت بلاد المغرب الأوسط بصناعة النّسيج بسبب وفرة المادّة الخام خاصّة الصّوفيّة منها، فبالرّغم من عدم الإشارة إلى صناعة النّسيج من طرف المؤرّخين في العهد الرّستميّ إلّا أنّه من المحتمل أنّهم اهتمّوا بها لعلاقة الصّناعة بالتّجارة، إذ ذكر البراويّ أنّ المعزّ الفاطميّ قد أنشأ دار الكسوة لتفصيل الثّياب وتوزيعها على النّاس في المناسبات[2]، وفي هذا المقام ذكر أبو نوح "أنّ امرأة يقال لها: أمّ خليفة، وهي حشويّة، كانت تخدم طوسة، تنسج لها وقاية رأسها".[3]

ليس من الممكن حصر استعمالات النّسيج، فمنها الملابس على شتّى أنواعها، والخيام على اختلافها، والأثاث المنزليّ كالفراش والوسائد والسّتائر والعصائب والفوط، ومنها البنود وغيرها، وقد أشار الحمويّ إلى صناعة البسط في تبسّة فذكر "أنّ بها يعمل بسط جليلة محكمة النّسج يقيم البسّاط منها مدّة طويلة"[4]، وأضاف عليه ابن الصّغير بقوله: "فاشترى منه أكسية صوفا وجبابا صوفا".[5]

ولم تكن المنسوجات الرّستميّة بلون واحد بطبيعة الحال، وإنّما كانت مختلفة الأشكال والألوان، وكان اليهود هم الّذين يتولّون صناعة الأصباغ، ويبدو أنّ هذه الحرفة قديمة لديهم، وقد وردت الإشارة إلى اختصاص اليهود بصناعة الأصباغ في جبل نفوسة في الكتب الإباضيّة. فاشتهر النّسيج الرّستميّ والنّفوسيّ منه بوجه خاصّ وألوانه المختلفة، وهو ما احتفظ لنا به ابن حوقل، إذ ذكر جودة ذلك قائلا: "وطيقان الأكسية الفاخرة الرّزق والكحل النّفوسيّة والسّود

[1]- بحّاز، المرجع السّابق، ص169.

[2]-جودت، **الأوضاع الاقتصاديّة**، المرجع السّابق، ص90.

[3]- الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج2، ص61.

[4]- جودت، **الأوضاع الاقتصاديّة**، المرجع السّابق، ص ص90- 91.

[5] -ابن الصّغير، المصدر السّابق، ص36.

والبيض الثّمينة". ولا تقلّ قسطيليّة في بلاد الجريد أهمّيّة عن نفوسة في صناعة الصّوف، إذ بها جهاز الصّوف جميع جهاته من الشّقّة والكسى والحنبل، إلى سائر ما يعمل منه يحمل منها إلى جميع الأقطار، والّتي كانت تصدّر الفائض من إنتاجها النّسيجيّ الصّوفيّ إلى الدّول المجاورة.[1]

د- صناعة الخشب:

إنّ تيهرت معروفة بثرواتها الغابيّة، حيث أنّها بنيت في وسط غابة كثيفة الأشجار، وهذا ما يجعلها تملك المادّة الأوّليّة، حيث كانت تصنع بها مختلف الآلات المستعملة في تلك الفترة.

فنجد التّجارة أين يقومون بصناعة الصّناديق الخشبيّة والأسرّة، والخزائن البسيطة، والأبواب وغيرها، كما استعمل الخشب في بناء البيوت والقصور بشكل كبير[2]، وقد عرفت الدّولة الرّستميّة صناعة الخشب والنّجارة لصناعة الأبواب والسّفن الّتي استعملت للملاحة[3]، حيث قال بحّاز:"ولعلّ من الصّناعات الخشبيّة الموجودة بالدّولة الرّستميّة صناعة السّفن أو بالأحرى بعض القوارب الصّغيرة الضّروريّة للملاحة البحريّة والنّهريّة"[4]، كذلك نجد صناعة الموائد والّتي ظهرت في بيت الإمام عبد الرّحمان بن رستم، والأسرّة والكراسي، وقد وضع الخيّاط في تيهرت للشّيخ كرسيّا فقعد عليه، وصنعوا الأبواب وأقفالها والقباقيب، ويبدو أنّها كانت تصنع للأثرياء من أخشاب مستوردة، فكانت في قصور بني زيري مصنوعة من أخشاب هنديّة.[5]

وعلى أيّ حال، فقد عرفت الصّناعة الخشبيّة عددا كبيرا من الصّنّاع، فكان منهم النّشار، وآخر الخشّاب، وثالث النّجّار.

---

[1]- بحّاز، المرجع السّابق، ص ص168- 169.

[2]- فتيحة قرواز، المرجع السّابق، ص149.

[3]- لخضاري، لوناس، المرجع السّابق، ص33.

[4]- بحّاز، المرجع السّابق، ص169.

[5]- جودت، **الأوضاع الاقتصاديّة**، المرجع السّابق، ص ص116- 117.

وربّما هم الّذين عناهم الدّرجينيّ في قوله: "ثلاثة نجّارين أحدهم يحسّن قطع الخشب من الشّعراء، والثّاني يشقّها وينشرها، والثّالث يركّب الألواح ويسمّرها فيما يصلح من الأدوات"[1]

بالإضافة إلى أنّ صناعة القوارب كانت متوفّرة في جربة لكونها جزيرة في البحر الأبيض المتوسّط منقطعة بأميال معدودات عن ساحل مدينة قابس، فلا بدّ أن يحتاج سكّانها إلى الانتقال إلى الشّاطئ الآخر لقضاء حاجاتهم.[2]

هـ- صناعة الأواني الفخّاريّة:

اشتهرت بها قرية ويغو، كما أشار الباحثان مارسيه ودسوس لامار أنّ المدينة كان بها بعض مصانع الأواني الفخّاريّة والخزف، والّتي كانت قد موّلت القصور والمنشآت الرّستميّة[3]،ولعلّ أبرز ما خلّفته الصّناعة في العهد الرّستميّ الأواني الفخّاريّة أو الخزفيّة، وعليه كانت تيهرت تضمّ أفرانا لشيّ الفخّار، ومعامل لصناعته، حيث اكتشفت قطع متلاصقة بعضها ببعض، واعتبرت من بقايا الفرن المهملة.

كما نجد بتيهرت العديد من الأفران والمعامل لصناعة الفخّار، ليس ذلك وحسب، بل وقد اكتشف الأثريّان المذكوران أجزاء من جرّة كبيرة، وقلل وصحون، وكؤوس، وغطاء برادة مزيّن بقفل مزخرفة، كما وجدوا مصابيح طويلة المصبّ وغيرها من الأواني الأخرى المختلفة الّتي كان النّاس بحاجة إليها.

والجدير بالذّكر أنّ هذه الأواني الفخّاريّة والخزفيّة كانت قليلة الزّركشة وبألوان محدودة كالأخضر والأصفر والخوخيّ أو البنيّ[4].

---

[1]-جودت، **الأوضاع الاقتصاديّة**، المرجع السّابق، ص117.

[2]- بحّاز، **المرجع السّابق**، ص ص169- 170.

[3]- عبد الحقّ المقبض، **النّظام الماليّ في الدّولتين الرّستميّة والزّيانيّة**، "**دراسة مقارنة**"، مذكّرة مكمّلة لاستكمال متطلّبات نيل شهادة الماستر في التّاريخ تخصّص تاريخ وحضارة المغرب الأوسط، جامعة غرداية، 1437- 1438هـ/ 2016-2017م، ص22.

[4]- بحّاز، المرجع السّابق، ص171.

ولم تكن أفران تيهرت الفخّاريّة الوحيدة في الدّولة، وإنّما تذكر المصادر أنّ جزيرة جربة كانت هي الأخرى مشهورة بهذه الصّناعة منذ القديم لتوفّر المادّة الفخّاريّة فيها، وهي أواني تستعمل بالدّرجة الأولى لحفظ الطّعام والتّمور، ولادّخار الحبوب والسّوائل، ولا زالوا يمارسون هذه الصّناعة إلى وقتنا هذا[1]، وهذا ما أشار إليه الوسيانيّ من خلال قوله: "فخرجوا إلى الحلقة فعانقوهم وبجّلوهم، وارتاحت قلوبهم بمجيئهم، لا يدعون الزّيارة على شدّتها، فأنزلوهم منزلة حسنة، وأجرى عليهم الفتى ضيافة حسنة وجعل لهم كلّ ليلة عشرين قصعة، وفي كلّ يوم كذلك، على كلّ قصعة شاة مورّبة موفّرة، فلبثوا عنده ما شاء الله".[2]

وبدون شكّ، قام سكّان بلاد المغرب الأوسط بصنع الكثير من الأدوات الفخّاريّة الّتي يحتاجونها للاستعمال المنزليّ من بينها القلال، وعرف محترف صناعتها بالقلّال، كذلك صنعوا الجرّة والزّير والأباريق، والكيزان والكؤوس، والأقداح والأطباق، وصنعوا القنديل والقدور، وكانت الحاجة تدعو النّاس إلى صنع الخوابي[3]، أيضا نجد أن الرّستميّين قد قاموا باختراع قنوات فخّاريّة للمياه خاصّة وأنّ منطقة تيهرت مرتفعة نوعا ما، وليست على مستو واحد، الأمر الّذي يزيد في صعوبة نقل المياه بالمجاري العاديّة.[4]

[1]– بحّاز، المرجع السّابق، ص172.

[2]– لوسيانيّ، المصدر السّابق، ج2، ص192.

[3]– جودت، **الأوضاع الاقتصاديّة**، المرجع السّابق، ص118.

[4]– بحّاز، المرجع السّابق، ص173.

2- النشاط التجاري من خلال كتاب السير:

أ. الأسواق:

تعتبر التّجارة من أهمّ الموارد الماليّة والنّشاطات الاقتصاديّة في الدّولة الرّستميّة[1]، وهي تقليب المال والتّصرّف فيه مبادلة بالبيع والشّراء طلبا للنّماء والرّبح[2]، وهي بطبيعة الحال من دعائم الاقتصاد ككلّ، وثمّة عوامل مساعدة لها من بينها الموقع الاقتصاديّ، واهتمام الأئمّة بالنّشاط التّجاريّ وغيرها[3]، وبهذا الخصوص يقول الإدريسيّ في كتابه "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" ما يلي: "... لهم تجارات وبضائع وأسواق عامرة وبأرضها مزارع وضياع جمّة..."[4]. ويؤكّد الحميريّ بقوله هو الآخر: "وبتيهرت أسواق عامرة وحمّامات كثيرة يسمّى منها نحو اثني عشر حمّاما وحواليها البرابر أمم كثيرة".[5]

ومن الأدلّة البارزة على نشاط التّجارة في الدّولة الرّستميّة: امتلاك شخص بمفرده لسوق فابن وردة، مقدم العجم، ابتنى سوقا يعرف باسمه، وكان صاحب الشّرطة لا يدخله ولا يتخلّله هيبة منه. كما أنّ المؤرّخ ابن الصّغير نفسه كان من التّجّار يملك دكّانا فيه الرّهادنة يبيع فيه ويشتري. وإن دلّ هذا على شيء فإنّما يدلّ على اهتمام النّاس بالتّجارة، وليس العوامّ منهم فحسب.

---

[1]- عبد الحقّ المقبض، المرجع السّابق، ص22.

[2]- محمّد عمارة، المرجع السّابق، ص114.

[3]- عبد الحقّ المقبض، المرجع السّابق، ص22.

[4]- الإدريسيّ، المصدر السّابق، ص256.

[5]- لحميريّ، المصدر السّابق، ص ص126- 127.

بل حتّى بعض مثقّفيهم ومكفوفيهم، إذ نجد أحد العميان من أهل نفوسة، رغم آفّته يشتغل بالتّجارة. ولا شكّ أنّ هذا الاهتمام راجع إلى الأرباح الّتي تدرّها التّجارة لوفرة البضائع وكثرة الإنتاج.[1]

عرفت تيهرت بأسواقها كمدينة سوق إبراهيم، أو مدينة كرام، فلا شكّ في أنّها كانت في البداية أسواقا ثمّ تحوّلت إلى مدن معروفة بفعل الاستقرار مع الاحتفاظ بطابعها التّجاريّ[2]، وهذا ما أكّده الوسيانيّ بقوله: "عن أبي محمّد عبد الله شيخه أنّ امرأة تنازع عليها الوهبيّة والنّكّاريّة فتركهم الوهبيّة حتى انتجعوا إلى السّوق"[3]. وكانت الأسواق تقوم أحيانا في نطاق دائرة أمير يكون قادرا على توفير الأمن والحماية، هي غالبا مقابل امتيازات له، وغالبا ما يحمل السّوق اسم ذلك الأمير، ومن هذا سوق حمزة، سوق إبراهيم، سوق يوسف، سوق ماكس وغيرها. وقد جرت العادة في مثل هذه الأسواق أن يكون لتجارة الأمير حقّ الأولويّة، كما تقرّر له أرباح على شكل إتاوات وعشر مقابل ما يوفّره من الحماية والأمن.

إضافة إلى أنّ هذه الأسواق تمثّل المركز الاقتصاديّ للمدينة أو للمنطقة، فقد أقبل عليها مختلف النّاس ممّن له غاية تجاريّة أو ليس له للكسب والشّراء، حتّى كان غشيان السّوق والاتّجار فيه مترادفين، ومن هؤلاء الصّنّاع، العمّال، الأحرار، العبيد، الدّلّالون، الحمّالون وغيرهم.[4]

---

[1]– بحّاز، المرجع السّابق، ص177.

[2]– نفسه، ص175.

[3]– الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج2، ص56.

[4]– جودت، الأوضاع الاقتصاديّة، المرجع السّابق، ص135.

ولعلّ من أبرز البضائع الّتي كانت تتبادل بين المدن وأسواقها في الدّولة الرّستميّة بضائع الشّمال ببضائع الجنوب والعكس صحيح، حيث كان البدو يستبدلون بضاعاتهم من الغنم، الصّوف، الجلود، الشّحم، السّمن، الألبان المجفّفة، والتّمور المجلوبة من أسواق الواحات ببضائع العاصمة أو التّلّ، وتتمثّل في الحبوب من قمح وشعير، إضافة إلى بعض الموادّ الضّروريّة كالملح، السّكّر والزّيت وغيرها، أو العسل وبعض الفواكه والألبسة والأفرشة.[1]

أماعن المكاييل فكانت تضبط مختلف عمليّات التّبادل التّجاريّ بواسطة نظام المكاييل والّذي يعتبر عنصرا أساسيّا وذا أهمّيّة بالغة، وذلك لحاجة النّاس إليه في أمور حياتهم اليوميّة، وعلى الرّغم من حيويّة النّشاط الاقتصاديّ في بلاد المغرب وتيهرت خاصّة، إلّا أنّنا نجد الجغرافيّين قد قاموا بإهمال هذا الجانب بدليل أنّنا لم نجد إلّا إشارات بسيطة كالّتي ذكرها المقدسيّ عرضا، أو البكريّ عندما يتطرّق من حين لآخر إلى هذه المنطقة أو تلك وفي حالات نادرة جدّا في كتابه كثيرا ما اعتمد فيها على معلومات محمّد بن يوسف الورّاق في كتابه المفقود إن لم نقل كلّها[2].

وقد ورد الكيل في القرآن الكريم في عدّة مواضع منها:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [3]

وقال أيضا: ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [4]

[1]– بحّاز، المرجع السّابق، ص ص177– 178.

[2]– نفسه، ص179.

[3] – القرآن الكريم، سورة الأنعام ، الآية 152.

[4] – القرآن الكريم، سورة المطففين، الآية 3.

كذلك نجد الوسيانيّ قد تحدّث في كتابه "السّير" عن المكاييل (الصّاع، المدّ، القفيز، المودي)، والموازيين (قنطار، الرّطل، مثقال، درهم، دينار، القرط، الحبّة الخرّوبة)، والمقاييس (الذّراع، الشّبر، الميل، الفرسخ، الحسبة)، حيث قال: "من باع شيئا بقراريط، وهو يعني دراهم الحندس أنّ ذلك جائر، لأنّ القيراط في أوزان الذّهب والدّراهم في أوزان الفضّة"[1]، وقال أيضا: "من يفتي أن يعطي أكثر من صاع في الكفّارات. ومن يفتي أن يعطي أقلّ من صاع فيها. ومن يفتي أن يعطي فيها غير الحبوب السّتّة"[2].

يظهر أنّ التّجّار في الدّولة الرّستميّة كانوا يراعون العدل في الميزان، فالموادّ الضّروريّة ذات الاستعمال اليوميّ والّتي كانت أساسا في تيهرت وضواحيها، يلاحظ أنّها بخسة الثّمن لوفرتها، فهي لا تباع بالمكيال[3].أمّا الموادّ الغذائيّة المستوردة مثل الفلفل، البهارات، الملح، الذّهب، العاج وغيرها، فإنّها تكتال بالمكيال، ويزوّدنا البكريّ بقوله عن مكاييل وأوزان تيهرت: "ومدّهم الّذي يكتالون به خمسة أقفزة ونصف قرطيّة، وقنطار الزّيت وغيره عندهم قنطاران غير ثلث إلّا المجلوب من الفلفل وغيره فإنّه قنطار عدل ورطل اللّحم عندهم خمسة أرطال".[4]

ويعكس هذا النّصّ أمرين: أوّلهما: أنّ المدّ المستخدم عند الرّستميّين هو المدّ الأندلسيّ القرطبيّ، وثانيهما: حالة الرّخاء الّتي يباع فيها قنطاران إلّا ثلث من الزّيت على أنّهما قنطار واحد، وخمسة أرطال من اللّحم على أنّها رطل واحد، عدا السّلع المستوردة كالفلفل وغيره فإنّ القنطار منها يعدل قنطارا واحدا فقط. ومن المكاييل الّتي استخدمت أيضا نجد قفيز القيروان وهو اثنان وثلاثون ثمنا، والثّمن ستّة أمداد بمدّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فالمكيال نهج إسلاميّ قويم يجعل حياة المسلمين عادلة ناجحة، فمن لم يتّبعه فقد خسر وضلّ.[5]

---

[1]– الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، ص292.

[2]–نفسه، المصدر السّابق، ج1، ص315.

[3]– بحّاز، المرجع السّابق، ص180.

[4] –البكريّ، المصدر السّابق، ص69.

[5] –الحريريّ، المرجع السّابق، ص235.

كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ ﴾ [1]

ب. الطّرق والمسالك التّجاريّة:

لقد اهتمّ الجغرافيّون العرب بالمسالك أو الطّرق الرّابطة لمختلف المدن والقرى والعواصم والأقاليم في البلاد الإسلاميّة المترامية الأطراف[2]، أمثال الإدريسيّ، اليعقوبيّ، البكريّ وابن حوقل... إلى غيرهم من المؤلّفين.

تعدّ المناطق الّتي كان الوسيانيّ ينتقل بينها مناطق عبور قوافل، فهي لا تنقل السّلع فقط بل تنقل كلّ المؤثّرات الحضاريّة، فإذا عدّدنا الطّرق التّجاريّة صوب غرب إفريقيا نجدها كثيرة ويتجلّى ذلك من خلال قول الوسيانيّ: "ولعلّ أهمّها المتّجهة جنوبا إلى تادمكت فمن توزر ووارجلان إلى تادمكت إلى غاو تحتها صوب نهر النّيجر حاليّا".[3]

كما يمكن معرفة قيمة هذه الطّرق والمسالك المتّصلة ببلاد المغرب وبلاد السّودان[4]، حيث ربطت مدن المغرب الأوسط ومنها تيهرت [5]الّتي كانت لها اتّصالات تجاريّة مع كلّ من القيروان، سجلماسة، الأندلس، المشرق العربيّ، وربّما نقصد القيروان عن طريق طرابلس.

كما ارتبطت الدّولة الرّستميّة بالممالك السّودانيّة، وكان ذلك من خلال انتهاج أربعة مسالك:

1- المسلك الأوّل: تيهرت، سجلماسة، أودغست، غانا.

2- المسلك الثّانيّ: تيهرت، وارجلان، تادمكت، كوكو.

---

[1] -القرآن الكريم، سورة المطففين، الآية1-3.

[2]- بحّاز، المرجع السّابق، ص188.

[3] -الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، ص94.

[4]- أنظر الملحق رقم3، ص92.

[5]- صلاح الدّين حميديّ، وهرانيّ قدّور، **موقع تيهرت بين الطّرق التّجاريّة بالغرب الإسلاميّ**، "العبر للدّراسات التّاريخيّة والأثريّة في شمال إفريقيا"، مج 1، العدد 1، تلمسان، جانفي 2018م، ص98.

3- المسلك الثّالث: جبل نفوسة، تادمكت، غدامس، كوكو.

4- المسلك الرّابع: جبل نفوسة، زويلة، كوار، بالكانم.[1]

فكلّ هذه الطّرق ساعدت على تشجيع وتطوير الحركة التّجاريّة لتيهرت نظرا لما تزخر به تلك المسالك من موان، مراس، أسواق عامرة، أنهار، مزارع... وهنا يزوّدنا كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" للإدريسيّ بقوله: "ومنها إلى تامدفوس ثمانية عشر ميلا (28.968192كلم)، وهو مرسى وعليه عمارة ومزارع متّصلة ومنه إلى مرسى الدّجاج عشرون ميلا(32.18688كلم)"، وقوله أيضا: "وتسمّى توزر ولها سور حصين وبها نخل كثير جدّا... وأكثر الفواكه الّتي بها في حالة معتدلة وبقولها كثيرة موجودة متناهية... وزروع الحنطة والشّعير بها قليل يسير".[2]

ولقد أشار جودت إلى الطّريق الّذي يربط القيروان وتيهرت من خلال قوله: "ذكر ابن الفقيه هذا الطّريق بإيجاز شديد مكتفيا بالإشارة إلى أنّه يستغرق مسيرة ثلاثين يوما على الإبل"، ولم يكن الإصطخريّ أكثر منهم تفصيلا فاكتفى بالإشارة "أنّ بين القيروان وتيهرت ستّا وثلاثون مرحلة (1602.72 كلم)"[3]، ويذكرها البكريّ قائلا: "ومن تيهرت إلى القيروان تسع عشرة مرحلة (845.88 كلم)"[4]، ويؤكّد ابن حوقل في كتابه "صورة الأرض" "أنّ من القيروان قرابة مرحلة (44.520 كلم)، ومنها إلى سيبة مدينة أزليّة كثيرة المياه والأجنّة، وعليها سور من حجارة حصين ولها ربض فيه الأسواق والخانات وشربهم من عين جارية كثيرة تسقي بساتينهم وأجنّتهم وهي على مرّ الأيّام كثيرة الفواكه رخيصة الأسعار"[5]، وغلّاتهم من الكمّون والكرويّاء والبقول.[6]

---

[1]- بحّاز، المرجع السّابق، من ص210- 219.

[2] -الإدريسيّ، المصدر السّابق، ص277.

[3]- جودت، **الأوضاع الاقتصاديّة**، المرجع السّابق، ص203.

[4]- البكريّ، المصدر السّابق، ص79.

[5]- ابن حوقل، المصدر السّابق، ص84.

[6]- الإدريسيّ، المصدر السّابق، ص294.

كما يصف اليعقوبيّ "أنّ هذا المسلك تمرّ به العديد من القرى والمنازل والضّياع، وكانت كلّها عامرة، وهو من تيهرت إلى أشير إلى المسيلة ثمانية أيّام ومنها إلى مجّانة فالقيروان ستّة أيّام"[1]، فكانت السّلع تنقل عبر القوافل من تيهرت إلى تنس، ومنها إلى برقة إلى ميناء تونس، ثمّ تقوم القوافل البرّيّة بنقلها إلى داخل إفريقيّة كالقيروان.[2]

بالإضافة إلى المسلك الثّاني والّذي هو من تيهرت إلى فاس، حيث يمرّ أوّلا على مملكة ابن مسألة الهوّاريّ، ومنها إلى مدينة يقال لها "يلل"، ومنها إلى مدينة "إيزرج"، ومن هذه مدينة تلمسان. أمّا عن ابن حوقل، فيذكر "أنّ الخارج من تيهرت يمرّ في بداية أمره على مدينة "أفكان"، ومنها إلى "وادي الصّفصاف" ثمّ إلى "تاتاناوت"، ومنها يخرج إلى تلمسان الّتي لقّبت بالمدينة العظمى المشهورة بالمغرب،الأمر الّذي يسمح للتّجّار بإجراء عمليّات تجاريّة والتّزوّد بما يحتاجون لمواصلة المسير إلى فاس، وبذلك تكون الطّريق من تيهرت إلى فاس ثلاثة عشر مرحلة (578.76كلم)"[3]. وكان الطّريق في غاية العمارة والزّروع.

ويليه الطّريق الّذي يربط تيهرت بالعاصمة الصّفريّة سجلماسة، بطريق يسلك بين القبلة والغرب نحو مدينة تعرف ب "أوزكا" على بعد ثلاث مراحل (133.56كلم) من تيهرت ومن أوزكا غربا نحو سجلماسة سبع مراحل (311.64كلم). ويؤكّد الإصطخريّ بقوله: "ومن تيهرت إلى سجلماسة نحو خمسين مرحلة (2226كلم)"[4]، وتمرّ قرى بهذا المسلك الّتي هي عبارة عن محطّات للقوافل التّجاريّة المتنقّلة بين المدينتين.[5]ليس ذلك فقط، بل هناك مسلك آخر يمرّ من تيهرت إلى الأندلس، حيث كان التّجّار يسلكون طريقين إلى الأندلس، طريق برّيّ من تيهرت إلى طنجة وسبتة مرورا بتلمسان، ومن ثمّ إلى الأندلس عبر مضيق جبل طارق، وطريق بحريّ

[1]– بحّاز، المرجع السّابق، ص189.

[2]– فطيمة مطهريّ، **مدينة تيهرت الرّستميّة**، المرجع السّابق، ص171.

[3]– جودت، **العلاقات الخارجيّة للدّولة الرّستميّة**، المرجع السّابق، ص ص205– 206.

[4]– بحّاز، المرجع السّابق، ص190.

[5]– حميديّ، قدّور، المرجع السّابق، ص101.

حيث تنقل السّلع من تيهرت إلى موانئ وهران وتنس، ومرسى الدّجاج، ومرسى فروخ، ومنها إلى الأندلس.[1]

وبالتّالي يسر للتّجّار الرّستميّين جميع السّبل ففتحوا لهم موانيهم في تنس، مستغانم، ووهران لاستقبال البضائع الأندلسيّة ولاسيما المصنوعات الحريريّة، فازدهرت المدن والموانئ الرّستميّة خاصّة تيهرت وقرطبة.[2]

وتبعا لذلك، قد اتّصلت الدّولة الرّستميّة بالمشرق العربيّ، فالقوافل الّتي تأتي من بغداد أو البصرة أو غيرهما إلى بلاد المغرب ب "الأنبار"، "هيت"، "الرّقة"، "حران"، "الرّها"، و "تلّ موزة"[3]، أي تسلك طريقا من مصر إلى الرّملة ومنها إلى دمشق، ثمّ إلى الكوفة، ثمّ إلى بغداد، ثمّ إلى الأهواز، ثمّ إلى فارس، ثمّ إلى كرمان، ثمّ إلى السّند، ثمّ إلى الهند والصّين، وكانت هذه القوافل محمّلة بأموال لا تحصى.[4]

ج.التّجارة الخارجيّة مع بلاد السّودان الغربيّ:

اتّصلت الدّولة الرّستميّة بالسّودان اتّصالا تجاريّا، وذلك عن طريق القوافل التّجاريّة [5]الّتي كانت تخرج من وارجلان قاعدة الرّستميّين التّجاريّة في الصّحراء[6]، ويشير ابن الصّغير "أنّه في عهد الرّستميّين[7] استعملت السّبل إلى بلد السّودان وإلى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتّجارة وضروب الأمتعة"[8]، فاتّخذت الدّولة الرّستميّة عدّة مسالك:

---

[1]– فطيمة مطهريّ، **مدينة تيهرت الرّستميّة**، المرجع السّابق، ص ص172– 173.

[2]– الحريريّ، المرجع السّابق، ص220.

[3]– بحّاز، المرجع السّابق، ص193.

[4] –جودت، **العلاقات الخارجيّة للدّولة الرّستميّة**، المرجع السّابق، ص231.

[5]– أنظر: الملحق رقم 4، ص93.

[6]– الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، ص ص100– 101.

[7]– الحريريّ، المرجع السّابق، ص233.

[8] –ابن الصّغير، المصدر السّابق، ص32.

فالمسلك الأوّل الّذي كان من تيهرت إلى سجلماسة، أودغشت، غانا: حيث ينطلق من تيهرت إلى سجلماسة، ويستغرق عشرة أيّام، وتعتبر أوسكا وسجلماسة نقطة حقيقيّة لعدد كبير من القوافل عبر الصّحراء إلى السّودان، ونظرا لأهمّيّة الدّور الّذي لعبته في هذه التّجارة، حيث كانت القافلة التّجاريّة تغادر سجلماسة نحو الجنوب، تتوغّل في الصّحراء مقدار خمسين يوما لتصل إلى قوم يقال لهم أنبية وهم بربر من قبيلة صنهاجة الملثّمين.[1]

واعتبرت مدينة أودغشت مركزا تجاريّا تستريح فيه القوافل وتقوم بعمليّة البيع والشّراء، وكانت المسافة بين أودغشت وسجلماسة حسب ابن حوقل "تقدّر بمسيرة شهرين"، ويذكر الحمويّ "هذا الطّريق بأنّ تجّارا سافروا من بلاد سجلماسة إلى بلاد السّودان، ومنها إلى غانة". وشهدت سجلماسة حركة تجاريّة باتّجاه البلاد، ولعلّ هذا النّشاط له علاقة بتجارة تيهرت ببلاد السّودان ولم يكن السّير في هذه المسالك عشوائيّا بل تحكّمت فيه مجموعة من العوامل أبرزها معرفة الطّريق وتوفّر المياه وتتبّع طرق معروفة من قبل.[2]

أمّا **المسلك الثّاني فكان ينطلق من تيهرت إلى وارجلان، ثمّ تادمكت، ثمّ كوكو**[3]: ويشير الوسيانيّ بقوله: "والبكريّ يحدّد المسافة بقوله: فإذا أردت من تادمكت إلى القيروان فإنّك تسير الصّحراء خمسين يوما إلى وارجلان وهي سبعة حصون للبرابر أكبرها يسمّى "أغرم أن يكامن" أي حصن العهود"[4]، كما تعتبر وارجلان المركز الرّئيسيّ في هذا المسلك الثّاني للتّوجّه إلى السّودان حيث بلاد كوكو[5]، تعتبر كسجلماسة تماما على الطّريق الغربيّ بوّابة ضروريّة لاقتحام الصّحراء، إذ احتفظت وارجلان بهذا الدّور البارز في عهد ابن خلدون إذ يقول عنها: "وهذا

---

[1]– فطيمة مطهريّ، **مدينة تيهرت الرّستميّة**، المرجع السّابق، ص211.

[2]– لخضاريّ، لوناس، المرجع السّابق، ص41.

[3]– بحّاز، المرجع السّابق، ص214.

[4]– الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، ص95.

[5] –أنظر: الملحق رقم5، ص94.

البلد لهذا العهد باب لولوج السّفر... إلى المفازة الصّحراويّة المفضية إلى بلاد السّودان، يسلكها التّجّار الدّاخلون إليها بالبضائع"[1].

بالإضافة إلى **المسلك الثّالث والّذي كان من جبل نفوسة ثمّ غدامس ثمّ تادمكت ثمّ كوكو**[2]: فاعتبرت غدامس قاعدة ثانية حيث يهبط منها إلى الجنوب طريق التّجارة إلى بلاد الكانم من أرض السّودان، وتحدّث عنها ابن السّعيد قائلا: "وهي غدامس حصون على الجادّة الّتي تمرّ ببلاد كانم"، فكانت أهمّ المنتجات الّتي تحملها القوافل الرّستميّة إلى بلاد السّودان الأكسية القطنيّة، والكتّانيّة، وثياب الصّوف، والعمائم، كما تحمل هذه القوافل النّحاس الأحمر والملوّن ومنتجاته من الأساور والخواتم[3]، ومسافة سبعة أيّام في الصّحراء تفصل جبل نفوسة عن غدامس وهي مدينة لطيفة كثيرة النّخل والمياه.

أمّا عن **المسلك الرّابع والّذي كان من جبل نفوسة ثمّ زويلة ثمّ كوار ثمّ بالكانم:** فكانت القوافل التّجاريّة الّتي تخرج من جادو إحدى المدن الأساسيّة في جبل نفوسة تتّجه جنوبا نحو زويلة، أوّل حدّ بلاد السّودان في ثلاثة عشر يوما، ومن مدينة زويلة الّتي كان يقصدها مختلف التّجّار من أهل خراسان والبصرة والكوفة، إلى مدينة كوار مسيرة خمسة عشر يوما، فكان هذا الطّريق خاصّا بتجارة العبيد دون الذّهب[4]. ويشير الوسيانيّ إلى هذا الطّريق من خلال قوله: "فإلى جادو ثمّ نزولا إلى زويلة ثمّ إلى كوار ثمّ إلى زغاوة ووادي أو بحيرة تشّاد".[5]

وقد واجه التّجّار الرّستميّون خلال رحلاتهم عدّة صعوبات عبر المسالك الأربعة، نذكر أهمّها طبيعة الصّحراء القاسية وقلّة وفرة الماء فيها، إلّا أنّه يمكن قطع تلك القفار في فصل الشّتاء والصّيف، وهو ما أشار إليه كلّ من ابن حوقل والإدريسيّ، إذ البرودة والرّطوبة من شأنها تلطيف قساوة تلك المفاوز والصّحاري، كما قام التّاجر باحتياطات لعبور الصّحراء الكبرى

[1]–بحّاز، المرجع السّابق، ص216.

[2]–نفسه، ص218.

[3]–الحريريّ، المرجع السّابق، ص210.

[4]– بحّاز، المرجع السّابق، ص ص219– 220.

[5]– الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، ص95.

الشّاقّة والمهولة، مثل أن يكون حذرا من هوامّ الأرض ودوابّه وهي كثيرة، وأن يحترس من الأعداء وقطّاع الطّرق.

ولعلّ أخطر عدوّ للقوافل المتّجهة إلى السّودان تلك الرّياح العاصفة الّتي تشتّت شمل التّجّار وقافلتهم، وتنفّر الجمال، وتمحي آثار المسالك فيقع الكثيرون منهم ضحيّة لها ضائعين تائهين[1]. وقد ذكر الوسيانيّ ذلك في كتابه "السّير" فقال: "فلقد كانت الدّولة الرّستميّة مهتمّة بتأمين طرق القوافل فكانت ترسل الجنود معها لحمايتها، كما أنّها قد حفرت الآبار في المناطق الدّاخليّة في الصّحراء".[2]

وبخصوص الصّادرات والواردات لم تحدّد المصادر بضاعة رستميّة بعينها إلّا أنّها تشير إلى بعض السّلع والبضائع الّتي تمّ فيها التّبادل بين أفراد المغرب الإسلاميّ، وشعوب جنوب الصّحراء (السّودان الغربيّ). فمن أهمّ السّلع الّتي حملها الرّستميّون إلى بلاد السّودان الحبوب والتّمور الّتي كانت متوفّرة في بلاد المغرب الأوسط نسبة لموقعها الممتاز.[3]

وقد أشار الوسيانيّ إلى أهمّ السّلع المتبادلة بين الجريد وأريغ وأسوف ووارجلان من جهة، والسّودان الغربيّ من جهة أخرى، فقال: "يعدّ الذّهب من بين أهمّ السّلع المتبادلة على الإطلاق ويليه في الأهمّيّة العبيد وريش النّعام والعاج من الجنوب. والملح والحبوب والزّيوت والعسل والمنسوجات الصّوفيّة والحريريّة والمنتجات الحيوانيّة كالجمال من الشّمال، والتّمور من الجريد خاصّة"[4]. إضافة إلى الأكسية القطنيّة والكتّانيّة، وثياب الصّوف والعمائم والمآزر، وأصناف من الزّجاج كخرز الزّجاج الأزرق، والأصداف والأحجار، وأنواع الأفاويه والعطر المأخوذ من عقد الصّنوبر.

[1]– بحّاز، المرجع السّابق، ص ص220– 222.

[2]– الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، ص92.

[3]– لخضاريّ، لوناس، المرجع السّابق، ص57.

[4]– الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، ص100.

كما تحمل هذه القوافل الرّستميّة إلى بلاد السّودان النّحاس الأحمر والملوّن ومنتجاته من الأساور والخواتم، وأيضا آلات الحديد المصنوع والفخّار والخزف ذي البريق المعدنيّ و الملح[1]. ويؤكّد الوسيانيّ ذلك من خلال قوله: "يعتبر العبيد والملح أيضا من أهمّ مصادر الرّبح وقد يتعامل بالملح كقطع العملة ويتصارف به كما يتصارف بالذّهب والفضّة"[2]، والّذي اعتبر مادّة حيويّة أساسيّة في المبادلات التّجاريّة بين المغرب الإسلاميّ وشعوب الصّحراء، لهذا عمل التّجّار الرّستميّون وغيرهم على استبدال بضائعهم بالملح في جزيرة "أوليل" وأخذها إلى بلاد غانة وكوكو.[3]

هذا ولا تزال قائمة السّلع المتبادلة مفتوحة، وإنّما تعدّ هذه مؤشّرا للمهارات الّتي كانت موجودة لدى الرّستميّين، كما يبيّن هذا مدى الاتّصال بمناطقها التّابعة لها خاصّة وارجلان والجريد الّتي لم تخصّص لهما حيّزا، لأنّ الوسيانيّ قد كان بعيدا عنهما نوعا ما مع احتمال بعض التّأثّر بهما.[4]

3- الجانب الماليّ:

لقد تعدّدت بيوت الأموال في عهد الإمام الأوّل عبد الرّحمان بن رستم، فيقول ابن الصّغير في هذا المقام: "وبيوت أمواله ممتلاة"[5]، فلم يكن في تيهرت بيت المال فحسب، وإنّما إلى جانبها دار يعرف بالزّكاة، واللّذين هما عبارة عن مؤسّستين ماليّتين، فدار المال تتغذّى من الأموال الّتي تجبى جزية أو خراجا للأرضين وغيرها من الضّرائب والرّسوم، حيث يخبرنا اليعقوبيّ أنّ أهل جبل نفوسة لا يؤدّون خراجا إلى سلطان ولا يعطون طاعة إلّا إلى رئيس لهم بتيهرت. أمّا دار الزّكاة فتتغذّى من مورد واحد هو الزّكاة، لذلك على ما يبدو ينسب إليها.

---

[1]- الحريريّ، المرجع السّابق، ص210.

[2]- الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، ص101.

[3] -لخضاريّ، لوناس، المرجع السّابق، ص60.

[4]- الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، ص101.

[5]- ابن الصّغير، المصدر السّابق، ص35.

وليست لدينا معلومات عن كمّيّة الزّكاة وأرقامها، إلّا أنّه يمكن أن نقدّرها جملة ونقول بأنّها كبيرة كبر الدّار، حيث وصفها ابن الصّغير عندما تعرّض لذكر قصّة القاضي الّذي خرج ليلا باحثا عن ابن لأبي اليقظان، أتى بمنكر قيل أنّه اختفى بدار الزّكاة، وهكذا يفتّش القاضي الدّار كلّها، وتبدو لنا متكوّنة من طبقتين.[1]

كذلك نجد الوسيانيّ قد اهتمّ بالجانب الشّرعيّ وتحدّث عن العديد من العبادات والمسائل الفقهيّة، فكثرت التّساؤلات وتعدّدت فقال: "... وهي امرأة غنيّة تريد أن تدفع زكاتها لزوجها الفقير فأجاز لها ذلك، ولا يعطيها لها هو، لأنّها مستغنية به"، وقال أيضا: "وهل يجوز أن يزكّى من الزّرع بعد بدوّ صلاحه وبعد بلوغ النّصاب ولكن قبل حصاده، وقبل دراسه؟ فكان الجواب حسب القصد، فإن قصد به الفرار من الحصاد والدّراس فلا، وإن قصد به نفع الفقراء فلا بأس"، وذكر أيضا: "وعن استكمال الشّريك بشريكه يقول: في الذّهب والورق، يستتمّ الشّريك بالشّريك في معاني الزّكاة كلّها ما خلا الذّهب والفضّة".[2]

فلا شكّ أنّ ازدهار الزّراعة والتّجارة، وتداول الذّهب المجلوب من السّودان، ورخاء البلد عامّة من الأمور الّتي تجعل كمّيّة الزّكاة كبيرة[3]، ففي النّهاية تعتبر الزّكاة فريضة وموردا شرعيّا[4]، إذ **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ ﴾[5]

وإذا أردنا أن نعدّد الوجوه الّتي تصرف فيها الزّكاة فهي تتلّخص في الفقراء والمساكين والعاملين عليها، والقصد بالعمّال هو الجباة، وهكذا تحوّل الأموال العينيّة إلى نقد خاصّة منها الشّاة والبعير، حيث كان يحصى الفقراء والمساكين في مدينة تيهرت وما حولها، فتوزّع عليهم أكسية وجبابا من الصّوف، وفراء وزيتا.[6]

---

[1]– بحّاز، المرجع السّابق، ص238– 239– 242.

[2]– الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، ص214.

[3]– بحّاز، المرجع السّابق، ص239.

[4]– جودت، **الأوضاع الاقتصاديّة**، المرجع السّابق، ص389.

[5] – القرآن الكريم، سورة الأعلى، الآية 14.

[6]– بحّاز، المرجع السّابق، ص241.

أمّا عن بيت المال والّذي شمل الخراج والجزية والضّرائب الّتي كانت لا تكفي أجور الموظّفين فحسب، وإنّما ربّما بقي منها شيء يصرف في مصالح المسلمين العامّة، كبناء المساجد والطّرقات والأسواق، فكانت تلك الأموال تصرف في إنشاء مستشفيات وبيوت للضّيافة والإنفاق على طلبة العلم[1]، وهذا ما أشار إليه الوسيانيّ فقال: "واعتنى المشايخ بأمور الطّلبة فخصّصوا لهم دورا لإيوائهم".[2]

ليس ذلك فقط، بل أورد في كتابه "السّير" موارد أخرى كالوصايا والّتي تعدّ موردا آخر من موارد بيت المال الرّستميّ، وهي عبارة عن تبرّعات كان يجمعها مشايخ الإباضيّة من أتباعهم لدعم بيت المال، حيث يقول الشّمّاخيّ أنّ أحد مشايخ النّفوسيّين كان إذا أراد زيارة تيهرت أخذ الوصايا من أهل الدّعوة بجبل نفوسة، فيرفعها إلى تيهرت لنفع بيت مال المسلمين[3]، وفي هذا الصّدد يقول الوسيانيّ: "وذكر عنه أنّه كتب وصيّته في كتاب فدفعها لورثته فقال لهم هذا كتاب وصيّتي افعلوا ما وجدتم فيه وأنا خصمكم غدا عند الله"، وقال أيضا: "بماذا أوصي ومالي قد ورثتموه كلّه أسداسا، لكلّ واحد منكم السّدس".[4]

أمّا عن مورد الجزية، فهو عبارة عن ضريبة شرعيّة فرضت على أهل الذّمّة المتواجدين بتيهرت، وكانت الجزية تسقط عمّن أسلم منهم كونها فرضت عليهم مقابل فرض الزّكاة على المسلمين، فالرّستميّون قاموا بجبايتها[5]، وهنا نجد ابن الصّغير يقول: "ثمّ ينظر إلى ما اجتمع من مال الجزية وخراج الأرضين وما أشبه ذلك فيقطع لنفسه وحشمه وقضائه وأصحاب شرطته".[6]

---

[1]– بحّاز، المرجع السّابق، ص243.

[2]–الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، ص212.

[3]–قاسمي بختاويّ، **مصادر التّمويل ونظام الجباية في الدّولة الرّستميّة**، 160–296هـ/ 777– 909م، الأكاديميّة للدّراسات الاجتماعيّة والإنسانيّة، مج: 12، العدد2، ص70.

[4]– الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، ص235.

[5]– بختاويّ، المرجع السّابق، ص69.

[6]– ابن الصّغير، المصدر السّابق، ص36.

وقد استخدمت الدولة الرستمية عددا من النظم في تجاتها الخارجية نميز منها النقود. و بعد اطّلاعنا على بعض كتب الإباضيّة، أدركنا أنّ العملة بجربة عرفت بالحندوس، فلم يعرف أهل جربة التّعامل والتّبايع بالذّهب ربّما لعدم انتشاره بينهم[1]، وفي هذا المقام ذكر الوسيانيّ أنّ "ستّون قيراطا ذهبا، والمشتري لا يعرف معنى ذهب، فلمّا كان وقت دفع المال أتاه بستّين قيراطا حندسيّا".

وقال أيضا: "خذ مطحنتك، والعادة الجارية في جربة الحندوس، وهو الدّراهم عندهم إلى اليوم"[2]. وعليه، فإنّ الحندوس لا يكون إلّا عملة فضّيّة إن لم نقل نحاسيّة لاقتراب اللّفظين من بعضهما.[3]

ولعلّ سبب الارتباك الّذي نجده عند الباحثين والمؤرّخين حول وجود عملة رستميّة أو عدم وجودها راجع بالأساس إلى اختفائها وانقراضها، حيث يذكر كلّ من الدّكتور محمّد إسماعيل والباحث الفرنسيّ دانجيل أنّ الرّستميّين لم تعرف نقودهم ولم تكتشف، فالأوّل يقول أنّها تفتقر إلى وجود عملات رستميّة كتلك الّتي خلّفها بنو مدرار، في حين أنّ الثّاني يذكر أنّه ليس هناك أيّ إشارة تدعو إلى الاعتقاد بأنّ الرّستميّين ضربوا الذّهب.[4]

[1]- بحّاز، المرجع السّابق، ص ص186- 187.

[2]- الوسيانيّ، المصدر السّابق، ج1، ص ص285- 286.

[3]- بحّاز، المرجع السّابق، ص187.

[4]- نفسه، ص183.

الخـــاتـــمة

من خلال دراستنا لموضوع النشاط الاقتصادي في الدولة الرستمية من خلال كناب سير الوسياني واعتمادنا على كتب أخرى توصلنا إلى مجموعة من الاستنتاجات والمتمثلة في:

– إنّ الدّولة الرّستميّة الإباضيّة قد تميّزت بحياة اقتصاديّة مزدهرة، وهذا نتيجة اهتمام سكّان المغرب الأوسط بهذا المجال (الزّراعة، الصّناعة والتّجارة)، والعمل على تطويره.

– حقّقت الدّولة الرّستميّة عدّة نجاحات على الصّعيد الدّاخليّ والخارجيّ، كان ذلك بفضل أئمّتها الأوائل بداية بإمامهم عبد الرّحمان بن رستم وصولا لخلفائه من بعده.

– عرفت تيهرت الرّستميّة وما جاورها من مدن ملكيّة زراعيّة واسعة، وذلك بسبب تنوّع الأراضي وشساعتها، كما اشتهرت بمراعيها الواسعة، حيث أشار الوسيانيّ إلى وفرة الموارد المائيّة وتنوّعها من أنهار وعيون وآبار...، فكثرت المحاصيل الزّراعيّة وتنوّعت من تين،زيتون، نخيل، كروم، أعناب، قمح وشعير...، فأصبحت المنطقة ذات ثروة زراعيّة جعلت اقتصادها في أسمى درجات الرّقيّ والازدهار.

– والّذي أثار ملاحظتنا، أنّ هذه الدّولة حظيت بموقع استراتيجيّ هامّ، هذا الامتياز مكّنها من أن تلعب دورا اقتصاديّا هامّا في المنطقة، والّتي كانت تعدّ من أكبر المراكز التّجاريّة في بلاد المغرب الأوسط.

– كانت تيهرت عبارة عن حاضرة متميّزة شهدت حركة علميّة، كما كانت تعدّ كلّ من أريغ وأسوف ووارجلان من الحواضر العلميّة الّتي أخذ عنها العلماء ومنهم الوسيانيّ فساعدته على تكوين ثقافته وشخصيّته.

– اشتهرت الدّولة الإباضيّة بالعديد من الصّناعات الحرفيّة، حيث وظّف التّجّار الرّستميّون الصّناعات الزّراعيّة، الصّناعة الخشبيّة، الصّناعة النّسيجيّة...، فاحتوت على العديد من الحرفيّين، ومنهم النّجّارين والحدّادّين والدّبّاغين.

– من أبرز الصّناعات الّتي عرفتها الدّولة الإباضيّة تلك الّتي ارتبطت بشكل مباشر بالزّراعة وتربية المواشي، أي صناعة وسائل الزّراعة، كذلك وجود معاصر الزّيتون نظرا لتوفّر أشجار الزّيتون في كلّ من تيهرت وجربة ونفوسة...

– إنّ الازدهار الاقتصاديّ الّذي ميّز هذه الدّولة جعل الأسواق تشهد حركيّة وحيويّة دائمة من جهة، وتنشيط المبادلات التّجاريّة من جهة أخرى، ومن ناحية أخرى، وجدنا من خلال تسليطنا الضّوء على هذا الموضوع أنّ النّشاط التّجاريّ يشكّل ركيزة من ركائز الحياة الاقتصاديّة للدّولة.

– ربطت الدّولة الرّستميّة علاقات تجاريّة مع شعوب جنوب الصّحراء (السّودان الغربيّ)،حيث ساعدها على ذلك وجود شبكة من الطّرق والمسالك التّجاريّة، فبرز دور القوافل التّجاريّة الّتي كانت تقوم بعمليّة تبادل السّلع والبضائع بين الطّرفين، فأصبحت همزة وصل بين دول الشّمال والجنوب، والّتي شجّعت على تطوير الحركة التّجاريّة.

– أمّا عن النّظام الماليّ للدّولة الرّستميّة فكان له موارد ونفقات وعملة، فأمّا بخصوص الموارد الماليّة فكانت متعدّدة ارتكزت بالأساس على الزّكاة والعشور، وأمّا عن العملة فكانت موجودة ثمّ اختفت بعد ذلك، ويحتمل أن تكون ذهبيّة نظرا لجلب الذّهب بكثرة من السّودان الغربيّ، فكثرة بيوت الأموال ونجاح اقتصادها جعلتها تشترك في العديد من العوامل بداية من المؤهّلات الطّبيعيّة إلى غاية وصولها للمجهودات العظيمة، ويعود الفضل في ذلك إلى أئمّتها، هذا ما استنتجناه في بحثنا الّذي نحسب أن يكون إضافة جديدة للمكتبة التّاريخيّة،حيث يبقى هذا العمل قابلا للتّقويم والتّوجيه من طرف اللّجنة المناقشة الموقّرة.

الملاحق.

الملحق رقم:01

خريطة: تمثل حدود الدولة الرستمية



شوقي أبو خليل، أطلس التاريخ العربي الإسلامي، ط5، دار الفكر، دمشق، 2002، ص50

الملحق رقم: 02

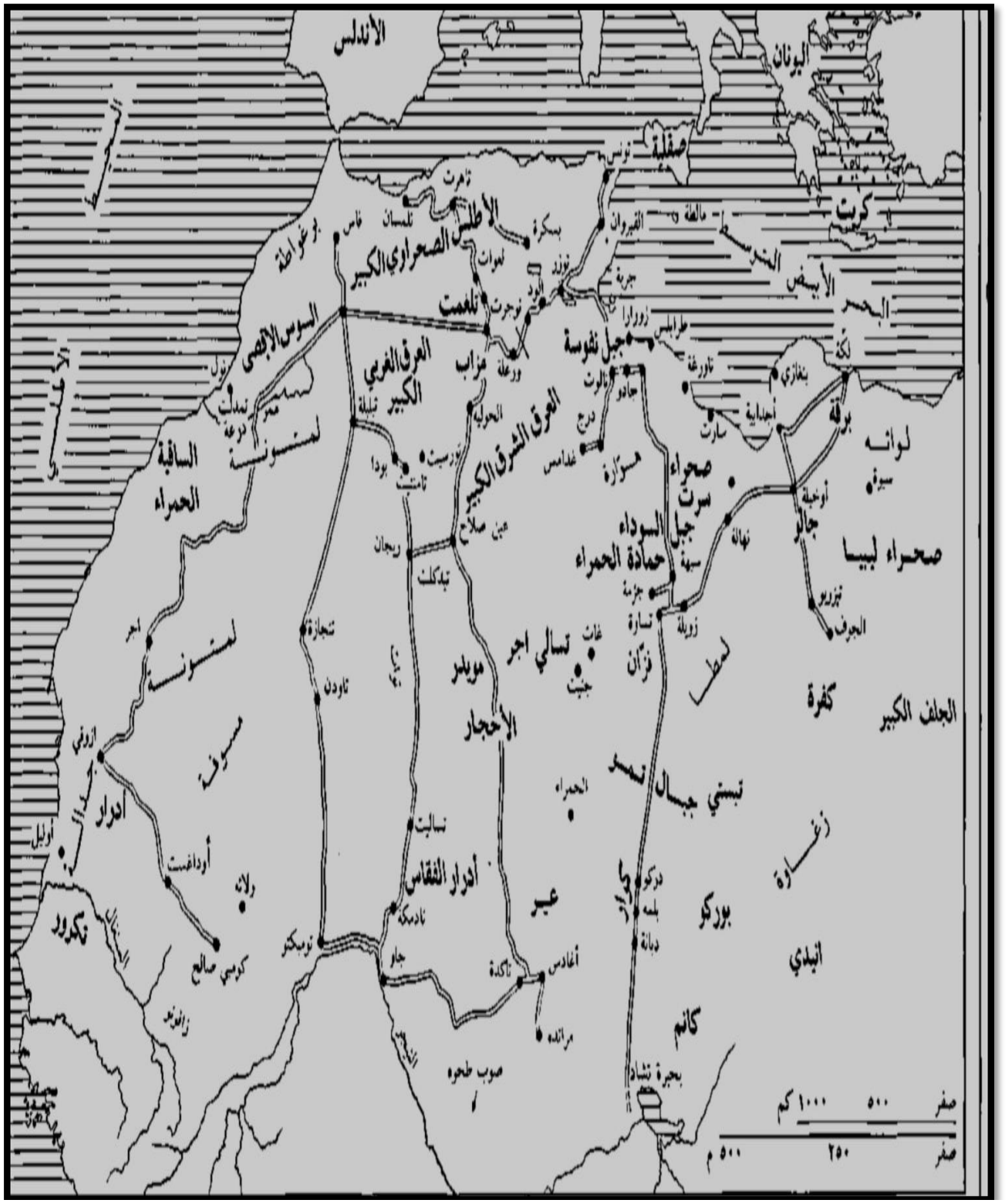
جدول: يوضّح أئمة الدولة الرستمية.

أئمة الدولة الرستمية	تاريخ التولية
عبد الرحمان بن رستم	160هـ – 776م
عبد الوهاب بن عبد الرحمان	171هـ – 787م
أفلح بن عبد الوهاب	190هـ – 805م
أبو بكر بن أفلح	240هـ – 854م
أبو اليقظان بن أفلح	241هـ – 855م
أبو حاتم بن أبي اليقظان	281هـ – 894م
يعقوب بن أفلح	282هـ – 895م
اليقظان بن أبي اليقظان	294هـ – 906م

عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص240.

ملحق رقم: 03

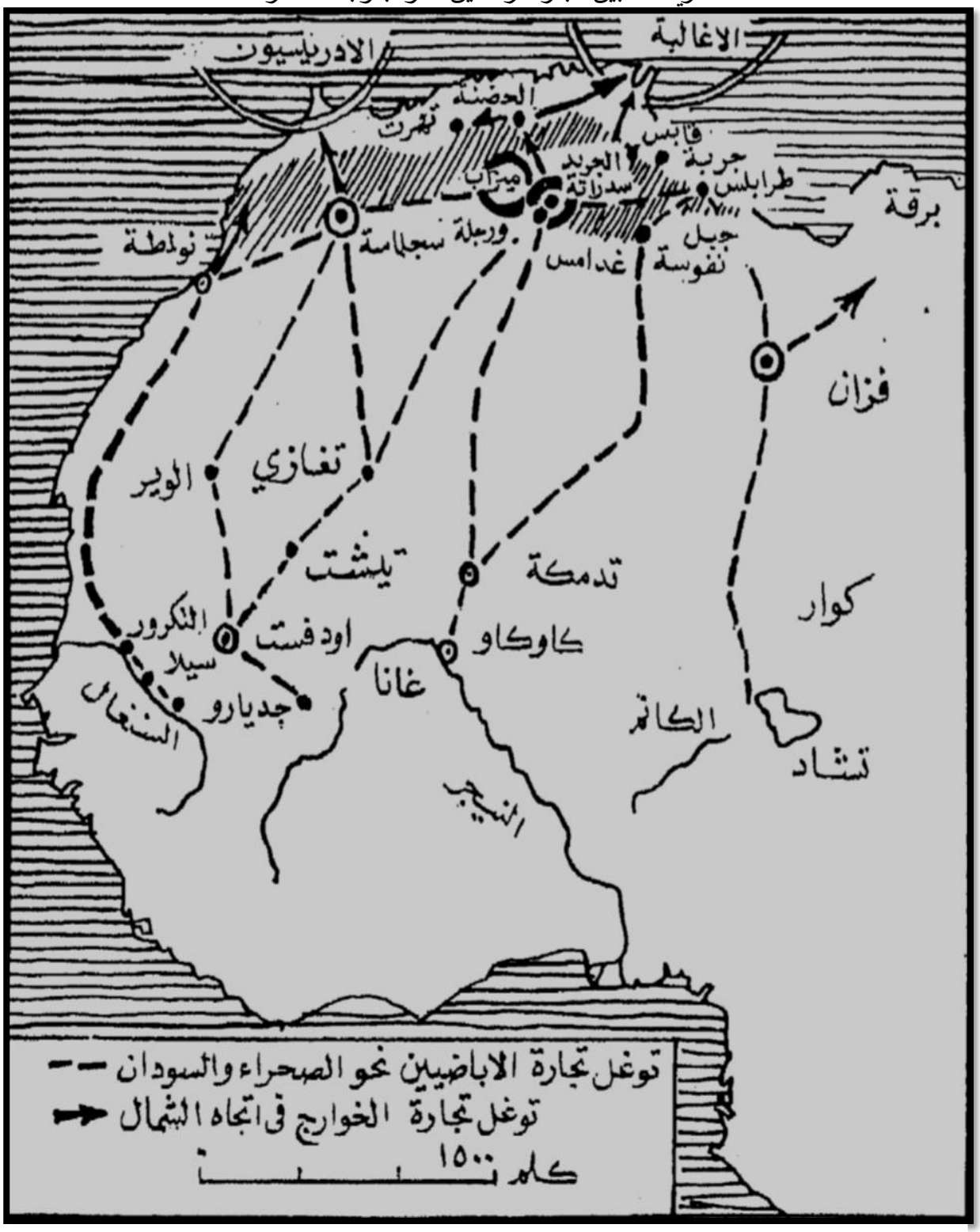
خريطة: تبين المسالك والمحطات التّجارية بين بلاد المغرب وجنوب الصحراء.



الفاسي، تاريخ إفريقيا العام، مج3، ط2، اللجنة العلمية الدولية لتحرير إفريقيا العام، اليونسكو، 1994، ص312

الملحق رقم: 04

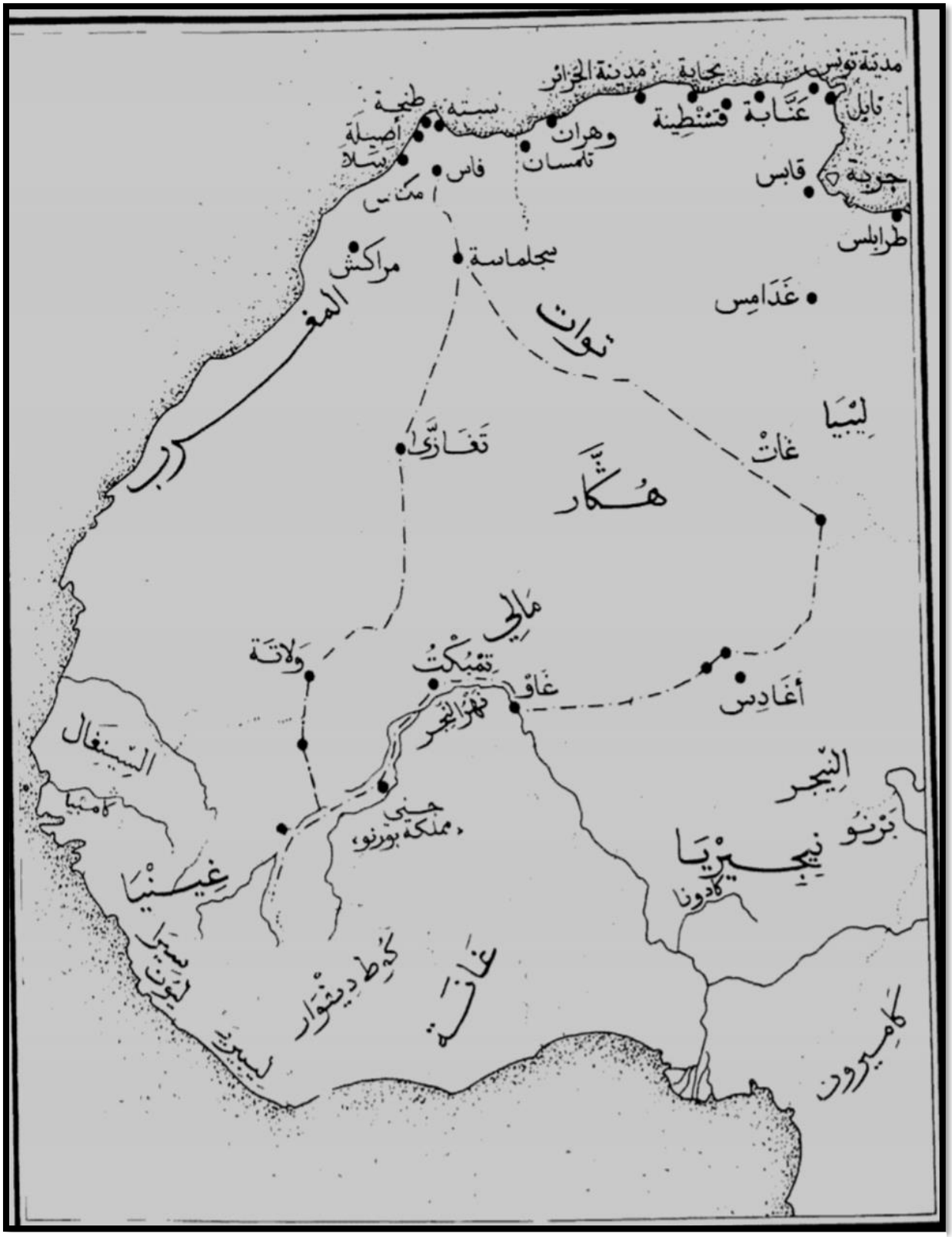
خريطة: تبين تجارة الرستمين نحو جنوب الصحراء.



موريس لومبارد، الإسلام في مجدهاالأوّل من القرن2 إلى 5 هـ/8 – 11م، ترجمة وتعليق إسماعيل العربى، ط3، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، 1990م، ص323.

الملحق رقم: 05

خريطة: تمثل بلاد السودان.



ابن بطوطة شمس الدين أبي عبد الله بن محمد، رحلة ابن بطوطة، قدم له وحققه ووضع خرائطه وفهارسه عبد الهادي التازي، مج 4، دط، أكادمية المملكة المغربية، ص 236.

قـــائمة المصادر والمراجع.

قــائــمة المصادر والمــراجــع.

أ/ المصادر:

1- القرآن الكريم: برواية ورش عن نافع.

2- الإدريسيّ، أبو عبد الله محمّد (ت 560هـ/ 1166م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، د ط، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، القاهرة، 1455م.

3- الإصطخريّ، أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد الفارسيّ (ت بعد 340هـ/ 951م)، المسالك والممالك، تحقيق محمّد جابر عبد العال الحنينيّ، د ط، دار القلم، القاهرة، د ت.

4- ابن بطّوطة، شمس الدّين أبي عبد الله محمّد بن عبد الله اللّوّاتيّ الطّنجيّ (ت 779هـ/ 1337م)، رحلة ابن بطّوطة المسمّاة تحفة النّظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، قدّم له وحقّق له ووضع خرائطه وفهارسه عبد الهاديّ التّازيّ، د ط، أكاديميّة المملكة المغربيّة، مج 4.

5- البكريّ، عبد الله بن عبد العزيز (ت 487هـ/ 1094م)، المغرب في ذكر بلاد إفريقيّة والمغرب، د ط، دار الكتاب الإسلاميّ للنّشر والتّوزيع، القاهرة، د ت.

6- الحمويّ ياقوت، شهاب الدّين أبي عبد الله (ت 626هـ/ 1228م)، معجم البلدان، د ط، دار صادر، بيروت، 1977م.

7- الحميريّ، محمّد بن عبد المنعم (ت أواخر القرن 9هـ/ 15م)، الرّوض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عبّاس، ط 2، مكتبة لبنان للنّشر والتّوزيع، بيروت، 1984م.

8- ابن حوقل، أبو القاسم محمّد بن عليّ النّصيبيّ البغداديّ (ت 367هـ/ 977م)، صورة الأرض، مطبعة بريل، ليدن، 1928م.

9- ابن خلدون، أبو زيد عبد الرّحمان بن محمّد الحضرميّ (ت 808هـ/ 1406م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر، مراجعة سهيل زكّار، د ط، دار الفكر، بيروت، 2000م، ج 6.

10- الدّرجينيّ، أبي العبّاس أحمد بن سعيد (ت 670هـ/ 1272م)، طبقات المشايخ بالمغرب، حقّقه وقام بطبعه إبراهيم الطّلّاي، مطبعة البعث، الجزائر، 1974م.

11- الشّمّاخيّ، أحمد بن سعيد بن عبد الواحد (ت 928هـ/ 1522م)، كتاب السّير، تحقيق أحمد بن سعود السّيّابيّ، ط 2، وزارة التّراث القوميّ والثّقافة، سلطنة عمان، 1922م، ج 2.

12- ابن الصّغير التّيهرتيّ، (عاش في القرن الثّالث هجريّ)، أخبار الأئمّة الرّستميّين، تحقيق وتعليق محمّد ناصر وإبراهيم بحّاز، د ط، د د ن، د ت.

13- القزوينيّ، زكريّاء بن محمّد بن محمود (ت 682هـ/ 1283م)، آثار البلاد وأخبار العباد، د ط، دار صادر، بيروت، د ت.

14- كاريخال مارمول، إفريقيا، ترجمة محمّد حجّيّ وآخرون، د ط، دار نشر المعرفة، الرّباط، المملكة المغربيّة، 1989م.

15- مؤلّف مجهول، (ت ق 6هـ/ 12م)، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، د ط، الدّار البيضاء، 1985م.

16- المقدسيّ، شمس الدّين أبو عبيد الله (ت 386هـ/ 997م)، أحسن التّقاسيم في معرفة الأقاليم، د ط، مكتبة مدبولي، القاهرة، د ت.

17- القاضيّ النّعمان، أبو حنيفة بن محمّد (ت 346هـ/ 957م)، دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، تحقيق آصف بن عليّ أصغر فيضيّ، د ط، دار الأضواء، بيروت، 1411هـ/ 1991م، ج 2.

18- الوزّان، الحسن بن محمّد الوزّان الفاسيّ المعروف بليون الإفريقيّ (ت 957هـ/ 1550م)، وصف إفريقيا، ترجمة محمّد حجّيّ، ط 2، دار الغرب الإسلاميّ، منشورات للجمعيّة المغربيّة للتّأليف والتّرجمة والنّشر، د ت، ج 2.

19- الوسيانيّ، سير الوسيانيّ، تحقيق عمر لقمان بن حمّو سليمان بوعصبانة، ط 1، وزارة التّراث والثّقافة، سلطنة عمان، 1430هـ/ 2009م، ج 1، ج 2.

20- الونشريسيّ، أبو العبّاس أحمد بن يحي التّلمسانيّ (ت 914هـ/ 1509م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقيّة والأندلس والمغرب، تحقيق محمّد حجّيّ، وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة بالمملكة العربيّة للنّشر والتّوزيع، الرّباط، 1981م، ج 9.

21- اليعقوبيّ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت 284هـ/ 898م)، كتاب البلدان، د ط، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، 1988م.

ب/ المراجع:

1- أحمد موسى عزّ الدّين، النّشاط الاقتصاديّ في المغرب الإسلاميّ خلال القرن السّادس هجريّ، ط 1، دار الشّروق، القاهرة، 1403هـ/ 1983م.

2- بابا عليّ محمّد بن موسى، معجم أعلام الإباضيّة من القرن الأوّل الهجريّ إلى العصر الحاضر، د ط، دار الغرب الإسلاميّ، د ت، ج 2.

3- بابجيه صالح، الإباضيّة بالجريد في العصور الإسلاميّة الأولى، ط 1، دار بوسلامة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، تونس، د ت.

4- بحّاز إبراهيم بكّير، الدّولة الرّستميّة (160- 296هـ/ 777- 909م) دراسة في الأوضاع الاقتصاديّة والحياة الفكريّة، ط 2، جمعيّة التّراث، غرداية، 1933م.

5- بوركبة محمّد، الجزائر الاجتماعيّة فب عهد الدّولة الرّستميّة (160- 296هـ/ 777- 909م)، د ط، دار الكفاية، الجزائر، د ت.

6- تاديوش ليفيتسكي، المؤرّخون الإباضيّون في إفريقيا الشّماليّة، ترجمة ماهر جرار وريما جرار، مؤسّسة تاوالت الثّقافيّة، 2007م.

7- جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة في المغرب الأوسط خلال القرنين الثّالث والرّابع الهجريّين (9- 10م)، د ط، ديوان المطبوعات للكتاب، الجزائر، 1984م.

8- جودت، العلاقات الخارجيّة للدّولة الرّستميّة، د ط، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1984م.

9- الجيلاليّ عبد الرّحمان بن محمّد، تاريخ الجزائر العامّ، ط 1، منشورات دار مكتبة الحياة، الجزائر، 1384هـ/ 1965م.

10- أبو حجر آمنة، المعجم الجغرافيّ، ط 1، دار أسامة للنّشر والتّوزيع، عمان، 2009م.

11- الحريريّ محمّد عيسى، الدّولة الرّستميّة بالمغرب الإسلاميّ حضارتها وعلاقاتها الخارجيّة بالمغرب والأندلس (160- 296هـ)، ط 3، دار القلم للنّشر والتّوزيع، الكويت، 1987م.

12- حسين أحمد إلياس، الإباضيّة في المغرب العربيّ، ط 1، مكتبة الضّامريّ للنّشر والتّوزيع، سلطنة عمان، 1416هـ/ 1996م.

13- حسين حمّودة عبد الحميد، تاريخ المغرب في العصر الإسلاميّ، ط 1، الدّار الثّقافيّة للنّشر، القاهرة، 2007م.

14- أبو خليل شوقيّ، أطلس التّاريخ العربيّ الإسلاميّ، ط 5، دار الفكر، دمشق، 2002م.

15- الدّاليّ المبروك الهاديّ، التّاريخ السّياسيّ والاقتصاديّ لإفريقيا فيما وراء الصّحراء من نهاية القرن الثّاني عشر إلى بداية القرن الثّامن عشر، ط 2، الدّار المصريّة اللّبنانيّة، القاهرة، د ت.

16- الزّبيريّ محمّد العربيّ، التّجارة للشّرق الجزائريّ، د ط، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر.

17- الزّحيليّ محمّد، إحياء الأرض الموات، د ط، مركز النّشر العلميّ، السّعوديّة، د ت.

18- سعيدونيّ ناصر الدّين، من التّراث التّاريخيّ والجغرافيّ للغرب الإسلاميّ تراجع مؤرّخين ورحّالة جغرافيّين، د ط، دار الغرب الإسلاميّ، د ت.

19- السّيّابيّ أحمد بن سعود، المدخل إلى المذهب الإباضيّ، ط 1، مكتبة الضّامريّ للنّشر والتّوزيع، سلطنة عمان، 1440هـ/ 2019م.

20- شبّانة محمّد كمال، الدّويلات الإسلاميّة في المغرب، ط 1، دار العالم الإسلاميّ، القاهرة، 1429هـ/ 2008م.

21- الصّلّابيّ عليّ محمّد محمّد، صفحات مشرقة من التّاريخ الإسلاميّ، د ط، دار الإيمان للنّشر والطّبع والتّوزيع، إسكندريّة، د ت.

22- غرب محمّد زينهم محمّد، قيام وتطوّر الدّولة الرّستميّة في المغرب، ط 1، دار العالم العربيّ، القاهرة، 2013م.

23- عمارة محمّد، قاموس المصطلحات الاقتصاديّة في الحضارة الإسلاميّة، ط 1، دار الشّروق، القاهرة، 1413هـ/ 1993م.

24- الفاسيّ، تاريخ إفريقيا العامّ، ط 2، د د ن، اليونسكو، 1994م.

25- فتحه محمّد، النّوازل الفقهيّة والمجتمع وأبحاث في تاريخ الغرب الإسلاميّ من القرن 6- 9هـ/ 12- 15م، د ط، الدّار البيضاء، منشورات كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة الحسن الثّانيّ، عين البندق، 1999م.

26- كورديّ محمود حسين، الحياة العلميّة في جبل نفوسة وتأثيراتها على بلاد السّودان الغربيّ خلال القرون 2- 3هـ/ 8- 9م، ط 1، دار الكتب الوطنيّة، ليبيا، 2008م.

27- لومبارد موريس، الإسلام في مجده الأوّل من القرن 2 إلى القرن 5هـ (8- 11م)، ترجمة وتعليق إسماعيل العربيّ، ط 3، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، 1990م.

28- كمال أبو مصطفى، جوانب من حضارة المغرب الإسلاميّ من خلال نوازل الونشريسيّ، د ط، مؤسّسة شباب الجامعة للنّشر والتّوزيع، الإسكندريّة، 1997م.

29- النّاميّ عمرو خليفة، دراسات عن الإباضيّة، ترجمة ميخائيل خوريّ، ماهر جرار، د ط، دار الغرب الإسلاميّ، تونس، د ت.

ج/ الرّسائل الجامعيّة:

1- زقّاويّ محمّد، الاتّجاه الكلاميّ عند الإباضيّة بالغرب الإسلاميّ، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه الطّور الثّالث، جامعة معسكر، 2018- 2019م.

2- شيخاويّ سميرة، كيحال ليندة، نظم الدّولة الرّستميّة- دراسة الدّولة الرّستميّة- دراسة لنظم الحكم والإدارة والنّظام الماليّ والقضائيّ (160- 296هـ/ 776- 908م)، مذكّرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في التّاريخ الوسيط الإسلاميّ، جامعة البويرة.

3- غنابزيّة عبد المنعم، محده الحبيب، الفرق الخارجيّة ببلاد المغرب، دراسة مقارنة بين الإباضيّة والصّفريّة، مذكّرة مكمّلة لمتطلّبات الحصول على شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربيّ الوسيط والحديث، جامعة الواديّ، 1437- 1438هـ/ 2016- 2017م.

4- قابوسة بشيرة، محمّد مسعود صوالح، الإباضيّة والمالكيّة من بلاد المغرب الإسلاميّ- جدليّة الحوار والصّراع من منتصف القرن 2هـ/ 8م إلى القرن 6هـ/ 12م، مذكّرة مكمّلة لمتطلّبات الحصول على شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربيّ الوسيط والحديث، جامعة الواديّ، 1437- 1438هـ/ 2016- 2017م.

5- قرواز فتيحة، الحياة الحضاريّة في الجزائر الرّستميّة 160- 296هـ/ 777- 909م، مذكّرة تخرّج لنيل شهادة الماستر في تاريخ وحضارة المغرب الأوسط، جامعة حسيبة بن بوعليّ، الشّلف، 1432- 1433هـ/ 2010- 2012م.

6- قطّيش حسام الدّين، جعطوط عادل، ثورات الخوارج في بلاد المغرب الإسلاميّ 96- 296هـ/ 715- 909م، مذكّرة مقدّمة لنيل الماستر في تاريخ المغرب الإسلاميّ الوسيط الموسومة بجامعة البويرة، 1435- 1436هـ/ 2014- 2015م.

7- لخضاريّ زهيّة، لوناس عائشة، العلاقات الاقتصاديّة للدّولة الرّستميّة وجنوب الصّحراء 161- 296هـ/ 777- 909م، مذكّرة مقدّمة للحصول على شهادة الماستر في تاريخ وحضارة العصر الوسيط، جامعة يحي فارس، المديّة، 2014- 2015م.

8- مطّهريّ فطيمة، مدينة تيهرت الرّستميّة دراسة تاريخيّة حضاريّة القرن (2- 3هـ/ 8- 9م)، مذكّرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلاميّ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2010م.

9- عبّاسيّ يحي أبو المعاطيّ، الملكيّة الزّراعيّة وآثارها في المغرب والأندلس 238- 488هـ/ 852- 1095م، دراسة تاريخيّة مقارنة، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الدّكتوراه، جامعة القاهرة 1421هـ/ 2000م.

10- المقبض عبد الحقّ، النّظام الماليّ في الدّولتين الرّستميّة والزّيانيّة- دراسة مقارنة- مذكّرة المغرب الأوسط، جامعة غرداية، 1437- 1438هـ/ 2016- 2017م.

11- مقريّ سامية، التّعليم عند الإباضيّة في بلاد المغرب من سقوط الدّولة الرّستميّة، شهادة الماجستير في التّاريخ الوسيط، جامعة قسنطينة، 2015- 2016م.

12- يزير بشير، الحركة الاقتصاديّة في ريف وبادية المغرب الأوسط وآثارها الاجتماعيّة في العصر الوسيط ق7- 10هـ/ 13- 16م، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التّاريخ الوسيط، جامعة الجزائر 2، 1439- 1440هـ/ 2018- 2019م.

د/ الدّوريّات والمجلّات:

1- بوسالم أحلام، عابد يوسف، دور إباضيّة المغرب الأوسط في تنشيط التّجارة الصّحراويّة خلال العصر الوسيط، الحوار المتوسّطيّ، المجلّد الحادي عشر، العدد 10، الجزائر، مارس، 2020م.

2- بختاويّ قاسميّ، مصادر التّمويل ونظام الجباية في الدّولة الرّستميّة 160- 296هـ/ 777- 909م، الأكاديميّة للدّراسات الاجتماعيّة والإنسانيّة، المجلّد 12، العدد 2.

3- حاج عيسى إلياس، مصادر المياه والنّشاط الفلاحيّ في واحات المغرب الأوسط "وارجلان أنموذجا"، تيارت.

4- الحاج يخلف عبد القادر، ملكيّة الأراضي الزّراعيّة في الغرب الإسلاميّ، مجلّة العصور الجديدة- مصنّفة ج- مجلّد 9، العدد 3، نوفمبر، 1441هـ/ 2019م.

5- حميديّ صلاح الدّين، قدّور وهرانيّ، موقع تيهرت بين الطّرق التّجاريّة بالغرب الإسلاميّ، العبر للدّراسات التّاريخيّة والأثريّة في شمال إفريقيا، المجلّد 1، العدد 1، جانفي، 2018م.

6- محمّد أمينة، محمّد غربيّ، إباضيّة المغرب وخلافتهم في الولاية والبراءة والإمامة- قراءة تاريخيّة من المصادر الإباضيّة ق 2- 3هـ/ 8- 9م، المجلّة الجزائريّة للمخطوطات، المجلّد 18، العدد 2، الجزائر، جوان، 2022م.

7- مطّهريّ فطيمة، موارد بيت المال الرّستميّ ونظام المبادلات والمعاملات داخل تيهرت وخارجها 2-3هـ، مجلّة القرطاس، العدد الثّاني، تلمسان، جانفي، 2015م.

8- مكّيّ زيّان، النّشاط الفلاحيّ لمنطقة تيهرت خلال العهد الرّستميّ 160- 296هـ/ 777- 909م، مجلّة العبر للدّراسات التّاريخيّة والأثريّة في شمال إفريقيا، العدد 2، أفريل، 2002م.

فهرس الموضوعات

تشكّر

الإهداء

مقدّمة 1

المبحث التمهيدي:

1- ظهور الإباضية في بلاد المغرب 9

2- الثّورات الإباضية 11

3-تأسيس الدولة الرستمية 12

4- أئمة الدولة الرستمية ونظام الحكم 13

5- سقوط الدولة الرستمية.....15

1 المبحث الأوّل: التّعريف بالوسيانيّ وكتابه السّير

1- ترجمة الوسيانيّ 17

أ- نسبه ونشأته 17

ب- تعليمه وثقافته 18

ج- عصره (البيئة الثّقافيّة، البيئة الاقتصاديّة) 27

2- كتاب السّير للوسيانيّ 31

أ- محتوى الكتاب 31

ب- أسباب التّأليف وأهمّيّة الكتاب 33

ج- مصادر الكتاب 34

د- منهج الوسيانيّ في تصنيف الكتاب 36

هـ- أسلوب الوسيانيّ 37

المبحث الثّاني: النّشاط الفلاحيّ من خلال كتاب سير الوسيانيّ

1- الملكيّة الزّراعيّة 41

2- النّشاط الزّراعيّ 47

أ- المحاصيل الزّراعيّة 47

ب- مصادر المياه عند الإباضيّة 54

3- النّشاط الرّعويّ 59

المبحث الثّالث: النّشاط الحرفيّ والتّجاريّ من خلال كتاب سير الوسيانيّ

1- أنواع الصّناعات والحرف 64

أ- الصناعة الزراعية 64

ب-صناعة الجلود 65

ج- صناعة النسيج 66

د- صناعة الخشب 67

هـ- صناعة الأواني الفخارية 68

2- النّشاط التّجاريّ في كتاب السّير 70

أ- الأسواق 70

ب- الطّرق والمسالك التّجاريّة 74

ج- التّجارة الخارجيّة مع السّودان الغربيّ 77

3- الجانب المالي 81

خاتمة 85

الملاحق 88

قائمة المصادر والمراجع 94